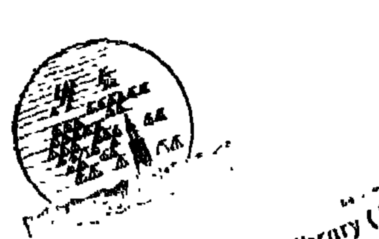
فيروس الحب

8

انتصار العقيل







دار الانتصار للنشر

الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

القاهــــره

فيروس الحب

انتصار العقيل

المشرف الفنى : **حسين عبدالعال**
الغلاف للفنان الأمريكى: McRay Magleby

الإهداء ..

يا نفسي يا نبتة صبّار في غياهب صحاري قاحلة ..

يا نفسي يا قارباً ضائعاً في أعماق بحارها نائمة ..

يا هذه النفس التي ما اعتادت أن يهديها أحد شيئاً ..

ها أنذا اليوم أجمع أفراحي القليلة جداً ..

وأحزاني الكثيرة جداً ..

وأهدي كل حرف حب .. كل حرف حنان .. أهديها جميعها لك .. أهديها إلى الأنا .. علك تجدين بين هذه السطور عزاء لك في أحزانك .. وسلاماً لروحك .. فتشيّدين من خلال سلامتك قصور انتصاراتك ..

يا نفسي يا سلامي يا أنت يا أنا ..

انتصار العقيل

فيروس الحب

أمل أنت أم ألم؟ شهـــد أنــت أم سُهـــد؟ داء أنت أم دواء؟ أخبرني من تكون ؟ من أنت؟.. كي أعرف من أنا لك.

كيف يُقـــال إن الـزمـــان كفيل بأن يشفي ويضمـــد كل الجراح؟ وجراحي فيك ازداد نزفها مع مرور الزمان؟ نسيت كل شيء.. إلا أنت. لم أنسك، بقيت أنت كما أنت.. تتحـدى في الزمان.. وتتحدى فيّ النسيان.. وأنا كما أنا.. أنزف في جراحك صريعة في ذكراك.

إلى الآن، مازالت أيـامى خاليـة خاويـة.. إلى الآن، مازالت عيـوني شاكيـة بـاكيـة، تمر الأيام بعـدك... وكأنها لا تمر! جمرك يتأجج في صدري، لهيبك يلفح تفكيري، ذكرياتك تقلق مضـجعي، حبك لغم يهدد حياتي.. أي خطـوة مني كفيلة بأن تفجره فيفجرني!

نوبات الشوق تلازمني، صرع الفراق يعذبني.. أزمات من البـوح تعتريني فأحبسها، فتطفح آلامهـا دموعـاً في مقلتّي.. صداع التفكير فيك يعجز أمامه أي مهدئ أو مسكن.. عليلة.. عليلة مشتاقة أنا.. بعدك.

أتذكـر؟.. أتذكر، كم كـان يبهرك ازدياد جمالي يومـاً بعد يوم؟ أتذكر.. كم حيرك سر نضـارتي المشرقة ساعة بعد ساعة

وأنا معك، كنت تنظـر اليَّ مذهولا.. لاتعرف كيف تعلل خفايا ذاك البريق الساحر فى عيونى.. ولا تجد تفسيرا لمصدر ذاك الدفء المتوقد المنبعث من كل جوارحى!

الآن أصـارحك بـالحقيقة.. لأنـى لا أريد أن أكـون لغـزاً مبهماً.. إن سر ازدياد جمالى، وإشراقـة نضارتـى.. ومصدر ذاك البريق الباهر والدفء المتوقد .. هو إصابتى بداء هواك.. وفيروس حبك.. أمـا الآن بعـد أن استعملت جميع أنـواع المضادات الحيوية .. وتغلبت على فيروس حبك.. وشفيت من داء هـواك.. انعكس هـذا الشفـاء على وجهى سقماً ووهنـاً فضـاع جمالى، وخمدت نضـارتى.. وانطفأ بـريق عيـونى.. ولازمت جسدى قشعـريرة وبـرودة لاتفارقـه.. عجباً.. داء هواك عافية وشفـاء.. والشفاء من هواك سقم وداء! ليتنى.. ليتنى.. بقيت عليلـة أعـانى من ذاك الفيروس! ليتنى.. ليتنى ماشفيت أبدا.. من ذاك الداء!

لغة العيون

لغة العيون.. ياأبلغ وأعمق وأصـــدق لغة.. ياحديث شوق ولـهفة وحنين.. من روح إلى روح، دون حرف به ننطق..

يا حـــواراً مجنونـا.. حائـراً صـارخـاً.. دون أن يسـمع أحد منــه كلمة واحـــدة.. لغـة العيـون، يـا جموح الأحبة.. ونفـاد الصبر.. ومشـــاغبـة الأشـواق.. وتنـــاسم الأرواح العاشقـة.. بعبارات حالمة نـاطقة صـامتة.. لايسمع ولايفهم همسهـا.. ومعـانيهـا.. إلا اثنـان.. لاثـالث لهما.. يتبـادلان الحديث خلســة من خلال النظـرات العابثـة.. دون أن يشعر بهما أحد..!

وشفاه تتمتم.. تمتمـة كأنها تسبيح وماهي بتسبيح إنما هي عبث شفاه جريئة تبعث بالتحية.. والقبل!

تتمايل رقبة... وينثني خصر.. وترتفع يـد تعيد خصلات شعر فوق الجبين هاربة.. كل حـركة ماهي إلا معنى جديد.. خطوة ثابتة تختصر المسافة والزمن..

ويـدور حوار واضح.. واثق.. بنظـرة هي مفتـاح القلب، يكسر قُفل باب زنزانة العقل ويقول لها:

سلام.

فتجيبه بغضة عين خجلة:

- يا هلا .

وسؤال ملهوف يبعثه لها من عمق سواد العين:

- من أنت؟

فيميل الهدب ويرتخى حزنا.. يدارى دمعة تكاد من مقلتيها أن تنهمر.. وتجيبه آهة لم يسمع صوتها بل بحرارتها فقط شعر:

- أنا من رمى بها اليأس وكوى فؤادها الحرمان من الهوى فراحت تبحث لها عن قشة أمل تمسك بها، علّ الحياة يوما ما تضحك لها وتبتسم .

ضاقت فتحة عينيه غضباً وصرخت بها:

- ما لى أرى الحزن فى عينيك ناطقا والألم من ملامحك يكاد أن يصرخ.. أين أنت من الإيمان والأمل ؟!

فيرتفع الحاجب شاكيا، وتتسع فتحة العين مقسمة بنظرة صادقة تقول له:

- دع عنك لومى.. لو مر ما مر بىَّ من تصاريف الحياة ونوائبها على جبل، لكان تحول إلى تراب واندثر.. فبعث لها بنظرة حنونة دافئة قائلة:

- فديتك بعمرى أعطنى يديك..

منذ اليوم سأكون أنا لك الأمل الرجاء والمنى.

لغة العيون.. يا قاموسا صفحاته بلا كلمات، لا يحل طلاسمها إلا قتيل الهوى.

لغة العيون.. يا فهرسا بلا حواش، لا يحلل رموزه إلا من في آهات القلوب.. باع واشترى.

يا نظرات ضاحكة باكية، سارحة حالمة..

يا غضا خجولاً جريئا لينا قاسيا..

يا سحرا عجيبا، شرعياً.. حلالاً مئة بالمئة..

يا همس القلوب العاشقة.. من خلال نظرات عميقة تختصر المسافات وترصد الزمن، لصالح متحابين.. تجمعهما في الأفكار،وليس مهما أن يجتمعا بالجسد.

تسمو بهما في حب عذرى نقى طاهر، فإذا بهما في مسيرة الحياة كأنهما في هودج يتمايل . ذات الميمنة وذات الميسرة .. يوما في يأس ويوما آخر في رجاء، يوما في أخذ ويوما آخر في عطاء، وهم قانعون بما كتب الله وبما قسم.

ألا يا هذه العيون أغمضى جفونك، كفاك ثرثرة.. سبقك سيف القدر، وخط قدرك قبل أن تتحدثى ، فما نفع حديث ليس منه الآن فائدة ولا رجاء يرتجى.. اصمتى يا عيون العشق.. التعبير عما يدور في خلدك لن يجعلك إلا في عداد العيون العابثة اللاهية..

أتى انتصارك متأخرا.. فابقى قانعة راضية.. بما كتب الله لك مستسلمة لمشيئة القدر..

ألا يا لغة العيون الحزينة.. اصمتى.. وأرخى ستار الغموض وداري معاناتك في الهوى.. ويح عمرى.. كم أخاف من ثرثرتك يا هذه العيون التى عجزت عن إخفاء سر حبيس

فى النفس . . متوار فى الثرى.

والله يا هـذه العيون.. لولا رعونتك.. وانـدفاعك.. لما علم بسرى أحـد من البشر.. لما علم أحـد بما فى صدرك اعتمـر، لما علم به حتى من يعنيه الخبر!

● زهـــــــــرة ●

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت

عينى فى لغة الهوى عيناك.

فجر جديد

تتبعثر كلماتى.. تتبعثر آهاتى.. تتبعثر خصلات شعرى..
أتبعثر كلي.. أتلاشى.. أذوب.. ويشرق فجر جديد.
فجر حياة جديدة.. وعوالم فى الرؤى البعيدة المسافات..
أنا وأنت..

وفجر فى حياتنا يحمل لنا كل جديد.. وعهد أن لا نتكرر.. ولا نكرر ما بيننا.. إلا بارتواء لا ارتواء فيه.. واكتفاء لا كفاية فيه..

ترى هل هـذا الفجر هو تاريخ ذروة مشـاعرنا؟.. وذروة عواطفنا؟

محال.. محال.. إن عالم حبنا لا ذروة له ولا حدود.. نحن معـا.. ذروتنـا لا ذروة لها..نحن معـا.. تجاوزنـا مـا بعـد الحدود..

فى داخلنا حب..

يكفى البشر ويـزيد.. فى أجسـادنا دفء.. يغلف الكـون ويفيض..

الآن.. ونور الفجر ينعكس على مجلسنا.. ويبهـرنا كل ما حولنـا.. فيصبح الصمت سيـد الكلام.. والـدموع زغـاريد للأفراح.. أرفع رأسى..

وتلتقى عيوننا.. ويعجز اللسان عن البوح والتعبير.. فلا نسمع سوى صـوت العصافير تردد لنا.. يـا أجمل فجر.. يا أحلى صبـاح .. أعـود إلى صـدرك.. ليصبح الصمـت سيـد الكلام!!

زواج مستورد

يرتجف قلمى بين أناملى.. فبهذا القلـم.. وفى هذه الورقة.. سأصب كل الألم والعذاب والقهر . الذى عانيته طوال الأعوام الماضية.. وأدفن جحيما مـن الشك والخداع.. وأخرج أخيرا إلى عالم من الصدق.. لا أخدع فيه.

آكـاد أراك الآن تشتـاط غضبا.. لقـد تعـودت أن تجدنى دائما فى انتظارك.. أتلقف بسرعة الحقيبـة من يدك.. أرفع عن كتفك «بشتك».. أسارع لخدمتك ولـراحتك.. زوجة مثـالية.. أما اليوم فقد اختفيت.. لا أثر منى سوى هذه الرسالة.. أربعة عشر عاما.. ثمرتها ثلاثـة أطفال.. وأجمل الذكريات.. وأروع مشاعر الحب والإخلاص.. وأتانى الخبر.. يحمل لى حقيقتك.. يحمل زيفك.. وفى بادىء الأمر.. كذبت الخبر.. ولعنت خاربى البيوت العامرة.. ولكن الحقيقة.. تفرض ذاتها..

وتأكدت من زواجك.. وليسـت هنا الكارثـة.. إنما خداعك لى.. مداراتك لحقيقة زيفك.. تمثيلك دور الزوج المخلص.. وأنا «يا غافل لك الله».

وراجعت أيامى معك.. فـاختلطت على الحقائق.. مـا عدت أستطيع أن أحـدد.. متى تحولت من زوج مخلص محب إلى زوج مخادع؟! اختلطت علىّ الأحـداث.. فأصبحت أشك فيك وفى نفسى.!

هل الحب الـذى كنت تغـدقه علىّ.. لى أنـا.. أم هـو فن من فنون الخداع ومهارة التمثيل؟.. يـا ويلى.. هل كان الحب ذاك لها هي.. تتخيلها فى أنا؟! كيف حـولتنى إلى كتلة من الشكوك والظنون.. فكرهت حتى أجمل الذكـريات ؟! دمرت فىّ الثقة.. وهشمت فىّ الكبريـاء.. أشفقت على نفسي، كيف جعلتنى طعما للعيـون المشفقـة.. والشـامتـة ؟! كيـف وصمت ثقتى بك.. بالبلاهة.. والغباء ؟!

طفح الكيل.. تمنيـت أن تأتى بكل جـرأة وتخبرنى .. وتحترم صبرى.. وتكون صـادقا.. فلست غبيـة.. أعرف أن زواجك مهما كانت أسبـابه، فهـو قدر ومكتـوب علينا.. لكن الاحترام المتبادل بين الـزوجين.. مراعـاة حقوق كـل طرف.. مخافة الله فى التعامل.. أين كل هذا.. فى تصرفاتك؟

انتهـاكك لكرامتى.. لكيـانى .. فى كل يوم.. فى كل لحظـة.. يجعلنى الآن أقف.. ثائرة رافضة.. لكل هذه المهازل..

أدرك أن هذا الزواج حقك الشرعى .. ولا غبار عليه.. ولكن من حقى أيضـا كـامـرأة كإنسـانة لها مشـاعـرهـا.. أن لا تخدعنى.. أن تصـارحنى أن تترك لى الاختيـار.. فى الاستمرار..أو الانسحاب.

أنا الآن أقرر الـرحيل عنك.. ليس لأنك تزوجت.. بل لأنك جعلتنى مسرحا استعـرضت فيه قـدرتك الهائلة فى التمثيل.. كل شيء يهون إلا حينما نكتشف أننـا وهبنـا حيـاتنـا لمن لا يستحقها.. لمن يخدعنا.. لقد جعلت منك إنسـانا مثاليا.. بهالة الحب والتعظيم اللـذين أحطتك بهما . أمـا أنت فقـد صنعت

مني.. بهلوانـا.. أقف على حبال من الكـذب والخداع.. وكنت أظن أنى أقف على أرض صلبة !!

إنى أرحل.. بالرغم أنى واثقـة أن زواجك هذا.. لن يستمر طويلا.. وأنك لن تكمل المشوار.. لن تجرؤ على الخروج معها إلى النـور.. ستجد نفسك وحيدا.. فهـذا النوع من الـزواج.. زواج مستورد!.. كـالمعلبات المستـوردة.. التى تطبع فـوقها تـاريخ انتهـاء صـلاحيتهـا قبل أن تعلب.. وشر البليـة مـا يضحك!.

● زهـــــــرة ●

كفانا الله وكفى الصالحين.. شر الاستيراد.

مَنْ ينظر إلىّ يراك فىّ

عيوننا مرآة لما فى داخلنا.. غيابك وحضورك.. رحيلك وعودتك.. مكتوب فى عيونى.. فاعذرنى.. أنا لم أخبرهم عنك.. ولكنهم قرأوا أخبارك فى عيونى!

خبايا النفس تنعكس على ملامحنا.. سعادتى وشقائى، هدوئى وقلقى.. مرسوم فى ملامحى.. فاعذرنى.. أنا لم أحك لهم عنك.. ولكنهم كشفوا حالى فى ملامحى..

لا تطالبنى بأن أخفيك عن العيون،لا تطالبنى بأن أواريك فى أعماق أعماقى، لاتطالبنى بما لا حكم لى فيه ولا سيطرة..

أنا أضعف من أن أمسك بك فى أعماقى، وانت أقوى من أن تهدأ فى ملكوت واحد..

أنت ترحل فى خطوط جسدى، وتلهو كطفل مشاغب فى كل ذرة فى داخلى وفى خارجى، تخرج رأسك من صدرى، تنطق بلسانى.. تنظر من خلال عيونى..

فحتما من ينظر إلىّ.. يراك فىّ!

هواء في دمي

بدونك أنا طير لاريش فى أجنحته، لا يقدر على التحليق ولا يرضخ لواقعه، ويبقى مشلولا فى أرضه!

بـدونك.. أنا نهر مـاء صـاف.. انقطع عن المنبع والمصب يركد.. تمتصه الأرض وتبخر ماءه، اشعة الشمس المحرقة.

رغم المسافات التي تفصل بيننا، رغم الزمن الطويل الذى فـرقنـا إلا أنك مـازلت مسـافـرا فى أعماقى، مـازلت تفترش مساحات فكرى وعقلى و فؤادى، ذكراك تقتلع أى فكر أو أمل لست أنت هدفا له، بصماتك مرسومة آثارها في كل ملامحى، رائحةأنفاسك تفوح لتعطر دنياى.

ظمآنة أنا لحبك.. غريقة أنا فى هواك.. ولاشىء ينقذنى.

أضعك وذكرياتك على رفوف النسيان.. فأجدنى أتخذ من هذه الرفوف مسكنا لي، أجمع رسائلك وصورك.. وأخفيها في صندوق حديدى، فلا ألبث أن أتخذ من هذا مركزا لحياتى.

أهرب إلى الشـوارع لأضيع فى الزحام، أبحث عن أكثـرها اكتظاظـا بالبشر، فاكتشف أنها خـاوية، لاحيـاة فيها، وأنت مسافر خارج البلد!

أشكو أمرى لأصدقـائك، ألجأ إلى أقرب الناس إلى نفسك، علهم يرشدوننى كيف أتخلص منك، فإذا حبهم لك.. يجعلهم يثبتون حبك في نفسى، ويقنعوننى بأنك أوفى من الوفاء.

لكن خنجر الواقع.. يغمد أدلته فى صدرى يكشف لى ما لا أريد أن أراه فيك فأهرب منك إلى زيف الخيال ليطيل لى حبل الأوهام فى حبك، وبين زوابع شك اليقين، ونسيم خداع الخيال أحيا، أضمد جروحى، فييبس سطحها.. ويبقى الصديد فى أعماقها.!

أذهب للصبر.. لأصبرٌ نفسى! فأجد الصبر واقفا على بابى وقد تعب الصبر من صبرى.. فيسألنى: متى تشفين؟ ومتى تصحين؟ وأجيبه: مابيدى.. ما بيدى.. فهواه فى دمى!

بدونك أنا طير لاريش فى أجنحته، لا يقدر على التحليق ولا يرضخ لواقعه، ويبقى مشلولا فى أرضه!

بدونك.. أنا نهر ماء صاف.. انقطع عن المنبع والمصب يركد.. تمتصه الأرض وتبخر ماءه، اشعة الشمس المحرقة.

رغم المسافات التي تفصل بيننا، رغم الزمن الطويل الذى فرقنا إلا أنك مازلت مسافرا فى أعماقى، مازلت تفترش مساحات فكرى وعقلى و فؤادى، ذكراك تقتلع أى فكر أو أمل لست أنت هدفا له، بصماتك مرسومة آثارها في كل ملامحى، رائحةأنفاسك تفوح لتعطر دنياى.

ظمآنة أنا لحبك.. غريقة أنا فى هواك.. ولاشىء ينقذنى.

أضعك وذكرياتك على رفوف النسيان.. فأجدنى أتخذ من هذه الرفوف مسكنا لي، أجمع رسائلك وصورك.. وأخفيها في صندوق حديدى، فلا ألبث أن أتخذ من هذا مركزا لحياتى.

أهرب إلى الشوارع لأضيع فى الزحام، أبحث عن أكثرها اكتظاظا بالبشر، فأكتشف أنها خاوية، لاحياة فيها، وأنت مسافر خارج البلد!

أشكو أمرى لأصدقائك، ألجأ إلى أقرب الناس إلى نفسك، علهم يرشدوننى كيف أتخلص منك، فإذا حبهم لك.. يجعلهم يثبتون حبك في نفسى، ويقنعوننى بأنك أوفى من الوفاء.

لكن خنجر الواقع.. يغمـد أدلته فى صدرى يكشف لى ما لا أريد أن أراه فيك فأهـرب منك إلى زيف الخيال ليطيل لى حبل الأوهـــام فى حبك، وبين زوابع شـك اليقين، ونسيم خـــداع الخيـال أحيـا، أضمـد جـــروحى، فييبس سطحهـا.. ويبقى الصديد فى أعماقها.!

أذهب للصبر.. لأصبرٌ نفسى! فأجد الصبر واقفا على بابى وقـد تعب الصبر من صبرى.. فيسألنى: متى تشفين؟ ومتى تصحين؟ وأجيبه: مابيدى.. ما بيدى.. فهواه فى دمى!

الليلة الأخيرة

الليلة آخر ليلة لنا معا.. أنت نائم .. وأنا أجلس القرفصاء.. أراقبك... أكحل عيونى برؤياك.. فبعد هذه الليلة قد لاتجمعنا الاقدار أبداً. حتى كغرباء.. الليلة أكتب لك.. آخر الكلمات.. الناطقة عن حبك.. عن هواك.. أما ما ساكتب مستقبلا.. فسيكون افكارا.. أجترها فى ذكريات حبك.. وأحلاما يوحيها لى هواك..

الليلة.. أضعك داخل قلبى.. وأختم عليك بالشمع الأحمر.. لا أحد غيرك.. يدخل هذا القلب.. أنت فقط تتربع على هذه القمة.. أنت وحدك النزيل فى هذا الفؤاد.

أنت.. الذى قررت لنا هذه النهاية.. بعد هذه الأعوام.. بعد هذه العشرة.. كان لابد لنا أن ننفصل.. من يصدق بعد ذاك الحب.. وبعد التفاهم .. نتغير ونصبح كالغرباء.. لا.. أنا لم أتغير.. ولم أتبدل.. أنا كما أنا.. أنت الذى أصبحت سريع الغضب، لاشىء يرضيك.. أصبحت كثير السفر.. كثير السهر .. وأنا صابرة.. وبالرغم من صبرى.. ها أنت فى هذه الليلة تخبرنى وبكل هدوء.. أنه الأفضل لكل منا.. أن نفترق أن ننفصل.. طبع اللهو.. وعدم الاستقرار.. تغلب عليك.. ولم أناقشك... فهذا قرارك.. وطالما احترمت قراراتك، حتى ولو فيها قرار إعدامى!

وتقدمت منك بخطوات ثابتة.. بكل كبريائى .. بكل عزتى..

لتنفذ فى حكم الإعدام.. وتحولنى بيدك إلى فاجعة متحركة.. وجرح.. ناطق.. تقدمت منك.. واستلمت ورقة تنهى كل ما كان!

وقمت بصمت لأجمع أشيائى.. ولكنى قررت.. أن أترك ورائى كل شىء حتى ممتلكاتى ثمينة كانت أم رخيصة..! سأتركها.. إنى أتركك، وأنت أثمن وأغلى ما أملك. أنت تخليت عنى فكيف لا أتخلى أنا عن كل الأشياء؟!

ومددت يدك.. تعيد لى صورنا.. وقلت «للذكرى».. وذعرت.. كيف تريدنى أن أحتفظ بها.. وعليها آثار بصماتك.. عليها آثارك ناطقة.. أما يكفينى ما قد تركت فى داخلى وخارجى من جروح! لا أريد هذه الصور.. وأنت أيضا لا تريدها.. فأشعلت النار فيها كى تلتهمها وتلتهمنى ولهيب النار متأجج فى وجهى.. ودموعى تتدفق وشفتاى ترتجفان تهمس بالرغم من ظلمك.. باسمك!

وتركتك.. وقمت أتجول فى أركان بيتنا.. فى كل ركن.. لنا فيه قصة حب.. وكل حائط .. أكاد أسمع فيه صدى ضحكاتنا معا.. ولثمت كل الأشياء.. وفتحت مقابر الصمت.. أدفن آلامى.. وأطفأت قناديل الأمل من سماء حياتى.. وواريت جثمان الهوى فى الثرى قبل أن أسمع صرخة فؤادى..

ليلة الشؤم.. ليلة الشؤم.. أنت يا هذه الليلة.. وخرجت من بيتى.. مذبوحة.. هاربة.. صامتة.. دون أن تلتقى بك عيونى.. دون أن أودعك.. خرجت من بيتى.. وكلى صرخة دامية.. سأخرق آهاتى.. وأردم آمالى. سأظلم ليلى ونهارى.. والله

محرم.. محرم نور بعد نورك تلمحه عيوني.. سأنتظرك.. سأنتظرك.. كما تنتظر الأرض العطشى الغيث.. كي يرويها سأنتظرك كما تنتظر الأشجار الربيع ليعيد لها ازهارها وأوراقها سأنتظرك كما تنتظر صغار العصافير فى أعشاشها عودة أمهاتها.. سأنتظرك والذكريات زادى.. والأحلام قوتى.. وصوتك الحنون.. نغم دافىء فى سمعى.. وصورتك الغالية بريق يلمع ويضىء عيونى.. فى غيابك، صومعة حبك دارى.. قدسية هواك حماى.

يعذبنى غدرك.. يعذبنى طيشك.. ولا يحمينى من جنون انتمائى لك.. واندفاع حبى لك..سوى عزتى وكبريائى..قدرى قدرى.. أن أحب رجلاً مثلك.. كل المصائب تنزل.. كبيرة ثم تصغر.. إلا فراقك فجيعته فى كل يوم.. تكبر .. وتكبر .. البشر جميعهم تنعكس صور ما يرون في بؤبؤ عيونهم.. وما بالى أنا لاتنعكس فى بؤبؤ عيونى سوى صورتك أنت ياغالى..

● زهــــــــرة ●

حينما نحب..

محال أن نكره ..

أو نتراجع..

أو نتوب!

فى بيتنا حرب أهلية

وفجأة.. اندلعت فى بيتنــا الهادىء.. حرب أهلية ضــارية!
دمرت أسرتنا.. تشتت شملنا .. فى ليلة وضحاها.. تغير حالنا
بعد أن كان بيتنا.. محط أنظـار وإعجاب الجميع لأنه يحيطنا
بـوئام ومحبة.. بعـد أن كـان الضيوف والـزوار.. من الأهل
والأصدقــاء.. يقصدون بيتنا.. يتهافتــون للمجىء لنا للتمتع
معنا بأجمل جـو أسرى وليتعلموا مبـادىء الحب.. والتفاهم
والإخـلاص.. فجأة تبـدلت الأحوال.. ذهب الحب كـأنه مـا
كان.. لا أدرى كيف وصلنا إلى هذا الحال.. حتى أنت لا تدرى
ما أوصلنــا إلى كل هذا العـداء. آه.. حرب الأحبـة يا حبيبي..
أعنف حرب.. قتال الأحبة ياعمرى.. أطول قتال..

انشطـر بيتنــا إلى شطـريـن.. وبـرز خط تماس فسكنت
الطــابق العلـوى وسكنت أنت الطــابق الأرضى.. انعـزل كل
واحد منــا مع من يؤيـده من أبنائنــا.. حتى الخدم.. اتخذ كل
واحد منهم موقفا.. مؤيدا أو معارضـا.. أصبح بيتنا مجموعة
أحزاب لها شعارات، مبادىء.. لا معانى لها ولا أهداف..

واشتـدت الأزمة.. وأصبحت كل خطـوة.. كل كلمة بيننـا
محفوفـة بالمخاطر حظـرنا الكلام بيننا.. كما يحظـر التجول
وتصاعـدت موجات العنف.. ووصل بنا الجنـون إلى تراشق
القذائف بكلمات فراغية وعنقودية وانشطارية إلى جانب جمل

فوسفورية حتى لعب أطفالنا تحولت إلى لعب مفخخة.. وانهار الحب.. أصبحت حينما يصيبك العناد لا تبتاع حتى تموين البيت الشهرى ولا تسدد فواتير الكهرباء ولا الماء ولا الهاتف.. فننعزل عن العالم الخارجى إلى أن تعقد بيننا الاتفاقيات المؤقتة التى لا تصمد طويلا.. لكثرة الأحزاب والفتن والقناصة المرتزقة.. الذين يأتون إلى بيتنا من كل صوب ليشعلوا الحرب فيه.. ليس فقط هم من الأعداء.. بل حتى من الأهل والأصدقاء.. ضاع الحب والتفاهم وبدأت المعاناة الحقيقية، لم يعد لنا سيطرة على أى شىء في حياتنا.. فى خصوصيتنا.. وتفاقمت المشكلة بالاجتياح المفاجىء من الغرباء!

فى كل هذه المشاكل والأزمات.. المتضررون الحقيقيون.. هم أبناؤنا فبعد أن تفككت أواصر المحبة فى الأسرة.. واشتعلت هذه الحرب.. طبعا لم يطيقوا البقاء معنا.. تركونا.. هاجروا.. لجأ كل واحد منهم إلى بيت أحد الأقرباء أو الأصدقاء.. ضيفا ثقيلا بل إن بعضهم أصر أن يسكن مع الغرباء.. نحن الآن تصلنا أخبارهم .. كل من استضافهم بدأ يضيق عليهم الخناق ، أصبح حالهم لا يعلم به سوى الله.. وأنا وأنت هنا.. مازلنا نتنازع من أجل لاشىء! نحن الآن تتنازعنا القوى الكبرى.. أهلى وأهلك.. تعقد المؤتمرات فى خارج دارنا .. لمناقشة حل نزاعنا، وتعقد المؤامرات فى عقر دارنا لإشعال نزاعنا.. طبعا بعد أن فقدنا التفاهم والحب .. وفتحنا باب بيتنا لكل من شاء أن يدخله، لكل من شاء أن يتدخل فى خصوصياتنا.. أصبحنا طعماً سهلا، نوطأ، نُدَمَّر،

الجميع استفاد من نزاعنــا.. الجميع لن يسعدهم إخماد النار التى اشتعلت فى دارنا.. حتى قيمــة وحدتنا كأسرة فى المجتمع .. التى كانت كــالعملة الصعبــة.. تدهورت .. لم يعــد لعملتنا قيمة تذكر.. سحقا لنــا.. لعنادنا .. لجنوننا.. كيف ننسى كل ذاك الحب .. الــذى ألــف بين قلــوبنـــا.. كيف ننسى كل ذاك الهناء.. الذى خيم على حياتنا!

تعال..! أنــا وأنت .. نجتمع بدون ألغــام، بدون هتــافات، بدون تــوصيات، تعــال أنا وأنت نجلــس كحبيبين.. كزوجين جمعت بينهما أحلى الذكريات.. والود والوئام.. ليعود السلام بيننا.. ويعود أبناؤنا.. ويلتئم شمل أسرتنا.

إنى أدعوك يارفيقى للتسامح فهل تلبى؟

أما ينــاديك الحنين للحب؟! ولسهراتنــا الحالمة.. وصوت فيروز يصيح:

«حبيتك فى الصيف.. حبيتك فى الشتاء».

نطرتك فى الصيف.. نطرتك فى الشتى.

وعيونك الصيف .. وعيونى الشتى..

ملآنه ياحبيبى خلف الصيف وخلف الشتى»!

● زهـــــــــرة ●

هــاتف قــوى فى صــدرى يهتف انك يــا لبنــان.. ستلبى دعــوة السلام وستعود كما كنت.. بل أفضل مما كنت!

منبع عطاء أنت حتى فى هجرك

أنقش أربعة حروف.. والأبجديـة هى أربعة حروف.. هى حروف اسم حبيبى.. وأنا أكتب حروف اسمك.. على كل خط من خطوط العمر وأنا أقـدم لك الآن ما تبقى من العمر.. أهبه لك فبعد غيابك الحياة أصبحت هدرا.. هدرا.. اسمح لى سيدى أن أقترب منك.. وأخبرك بهذا الخبر.. اسمح لى سيـــدى.. أن أبعث لك بهذا النبأ.. مكتوبا على كل ورقة من أوراق الشـجر.. أخبرك.. إنى بعد هجرك لى وفراقك.. لم أذبل.. ولم أمت!

انبئك أنـــى زدت تالقـــــا على تـــالقى.. وزدت جمالا على جمالى.. وزدت حكمة على حكمتى..

معروف «يا ذاتى» أن فـراق الحبيب هو درب إلى الغروب والفنـــاء ومعــــروف أن حيـاة العـاشق دون هــــواه تتعـذر وتستحيل يا «عالمى» هذا العرف معك يتغير.. يتغير ففراقك لى غير فراق كل الأحبة.. وهجرك لى غير هجر كل العشاق!

أحيطك علما ياسيدى:

ان بــريق الحزن الـدفين فى عيني .. من لـوعـة الشـوق.. زادنى هيبـة وتكبرا.. وهذه الابتسـامة البـاكية المتحجـرة.. السـاخـــرة.. التى رسمتهـا على شفتى.. زادتنى للنـــاظـر غموضـا.. وحيرته بألف سؤال وسؤال محير.

أنت «يـاحبيـب» معطـاء حتى فى بعـدك.. كـــرم حتى فى هجرك.. أيام الـوصل.. جـدت.. جـدت.. بالكثير.. وفى أيـام البعـد.. ها أنت لم تتركنى .. لم تتخل عنـــي.. فأنا قـد أخفيتك بين ضلوعى.. وأغمضت عليك جفـون عيونى.. ولا يعلم عنك أحد!

حب إلكترونى

.. ومن خلال دموعها .. نظرت إليه..! هذا الرجل الذى تحب.. الذى تعشق .. كيف تتعامل معه؟! حبيبها مثال صادق لرجل هذا العصر الالكترونى.. نعم انه «رجل آلى».. مشاعره يحركها «ريموت كنترول»..«كمبيوتر عواطف» .. مبرمج لمدة زمنية محددة.. وطاقة محدودة.. الصور تظهر وتختفى فى شاشة قلبه.. وذبذبات نبض الحب فى صدره.. تعمل فقط مع تواجد حرارة الحبيبة معه.. أما اذا غابت عن عينيه فستقرأ على شاشة قلبه. نأسف لهذا الخلل الفنى فى مشاعرنا.. موعدنا مع المشاعر والعواطف والحب .. إلى أن تأتى الحرارة!

نعم .. هذا الرجل الذى تحب.. نموذج لرجل هذا العصر الفضائى.. مشاعره تأثرت كعقله بتأثير عصر التكنولوجيا الحديثة.. ينظر إلى القمر.. فلا يرى سوى غزو المركبات الفضائية.. ويتسى أن هذا القمر .. قد غزاه ألوف العشاق والأحبة.. فى ليالى السمر والشوق.. بإحساسهم وأرواحهم!

نظرت إليه.. وحبست الآه فى صدرها .. كيف تتفاهم مع إنسان لاهث وراء كل شىء.. ما عدا العواطف الصادقة.

والرومانسية الحالمة.. وحب الروح الخالد.. كيف تفهمه

انها امرأة مـرهفة الإحساس.. صـادقة فى عواطفهـا نحوه.. وحينما اختارتـه.. لم يكن اختيارها بمشيئتهـا.. بل بمشيئة القدر.

هل يـرى بمفهومه الآلى وقلبـه الحديدى .. كيـف امتدت جـذور حبها لـه.. فى أعماق الأرض.. وكيف عانقت أغصـان وفائها السماء.

شجرة عواطفها نحوه. معطاءة.. مثمرة.. مزهرة.. المهم.. أن تجد التربة الخصبة والظل الكافي.. واليد الحنونة التى ترويها بـاستمرار.. أين هـو من هذا.. فى أرضـه الجدباء.. وشمسـه المحرقة.. وجفاف غيومه.. كيف ينمو حبها له؟؟

الحديد ينصهر من شدة الحرارة.. فكيف لا ينصـهر قلبها من شدة قسوته؟!

الحضارات تـدمرها الحروب والحرائق.. فكيف لا يـدمر حبها من صديد كلماته؟!

أسراب الطيور تهاجـر.. تطلب الدفء من مكـان إلى آخر.. فكيف لا تهاجـر أسراب أفكارهـا.. بعيـدا عنه طلبـا للأمـان والراحة!

ومد يده نحوها.. ولكنها لم تتجاوب.. شعرت أنها تتحول من امرأة رومانسية.. إلى امرأة آلية.. تتحول من كتلة عواطف.. إلى كتلة حديدية.. ولم تستطع أن تتقدم نحوه..

كـان «ريموت كنترول» مشـاعرهـا .. يدفعهـا إلى الخلف بعيدا عنـه.. بينما «ريموت كنترول» مشاعـره .. كان يـدفعه بشدة نحوها.. وكمبيوتـر عواطفها ألغى وجوده فى برامجه..

بينما كمبيوتر عواطفه وضعها فى جميع اسطوانات برامجه!

وبالرغم من أن صورتها ظهرت جلية.. واضحة على جميع قنوات شاشة قلبه.. إلا أنها اكتشفت أنه على شاشة قلبها لايوجد لا خيال صورته.. ولا ذبذبات حرارته.. ولا حتى اعتذار للخلل الطارىء!

لم يعد الخلل طارئا على شاشة قلبها .. لقد أصبح خللا دائما فى جميع أجهزة الإرسال فى عوطفها!

● زهــــــــرة ●

حينما يقدر لمشاعرنا أن تحتك بمشاعر حديدية..

لابد لمشاعرنا أن تصدأ!

غريبة مع نفسى

اريد أن أفقدك.. لأنى لا أستطيع أن أحتفظ بك!

واريد أن احتفظ بك.. لأنى لا أستطيع أن أفقدك..

وأمام قرار فقدانك أو الاحتفاظ بك.

أقف فى حيرة.. أراقب جنة ونار قربك.. وجنة ونار بعدك.

وأذهل .. كيف تتعادل وتتساوى فيك ومعك المتناقضات.

الوصل كالهجر .. والهجر كالوصل .. الحنان كالقسوة.. والقسوة كالحنان.. المبالاة كاللامبالاة .. واللامبالاة كالمبالاة.. وها أنا .. وأنا معك فى هواك مكبلة.. وأدرك أنى وأحلامى بعدك مشردة

وها أنا .. وأنا معك .. اهيم سعادة فى وصلك.. أيام.. وأيام.. وأدرك أنى فى بعدك.. سأهيم شقاء.. سنين .. وسنين.. حياتى ونفسى .. قد ملكتك أمرهما.

فيا غربتى فى حياة .. ما عادت هى حياتى.. ويا وحدتى مع نفس.. ما عادت هى نفسى.. أحيا فى وحشة قلبك المتحجر.. وحشة أقسى من وحشة قبر منفرد!

ويح عمري. .كيف يمضى العمر .. بين أمل ويأس.. وتعفف وتمن؟!

رويدك .. رويدك .. تمهل على .. إنى أتعثر فى دروبك.. فامسك بيدى .. كى اتخطى هذا اليم.

يمنعنى عنفوانى وكبريائى أن اترجى .. أو أذرف الدمع.. على من باع الهوى.. وهو يعلم أنه الداء.. وأنه الدواء!

أم العيال

أنت يا «أم العيال»
يارفيقة الدرب والكفاح
عهدتك عبر الحياة
نقية كالزلال
صامدة كالجبال
أعطيت كل ما عندك
وأنا الآن
أخشى عليك من التعب
لذا
ستسكن فى هذا البيت
مع إطلالة الهلال
أنت تعرفين من هى
إنها رفيقة الدرب
الجديدة
أما أنت.. يا «أم العيال»
يا عشيرة العمر
فسترحلين مع «العيال»

للمنزل القديم
إنى أخاف عليه
أن تملأه الرمال
ويصبح من الأطلال
لاتغضبى .. لا تثورى
حقوقك محفوظة
فأول كل شهر
سيصلك مبلغ من المال
لتنفقى على «العيال»
وختاما.. إليك هذه الورقة
إنها الأخيرة
تجدين ما بها «أبغض الحلال»

●●●

«يا أم العيال» يا «أم العيال»
اسمعينى.. أنا أختك
لاتبكى .. لاتحزنى
لا تأسفى
على مَن طبعه النكران.
على مَن طبعه الجحود
على مَن طبعه النسيان..!!

يا «أم العيال»:

لا تبكى

فقد خرج غيرك من النساء

بلا نفقة.. بلا منزل.. بلا عيال

يا «أم العيال»:

لا تبكى.. لا تحزنى .. لا تأسفى

فهذا طبع مَن لايخاف الله من الرجال

يا أم العيال:

اليوم أنت تبكين دمعا

وغدا سيعوضك الله

فى أبنائك خيرا

اليوم هو يضحك

مختالا فرحا

وغدا..

سيبكيه الله لجبروته بدل الدمع دما

دعنى أواجهك

وعاد.. بعد غيبة طويلة.. سمعت صوته يقول لها :

ـ أحبك .. أحبك.. اشتقت إليك..

ولم تجب . ظلت صامتة.. تسمع كلماته.. ترددها فى نفسها .. لا تدرى بماذا تجيبه.. أتقول له : أحبك أكثر .. اشتقت لك أكثر؟!

اتبوح له بما فى صدرها.. من مشاعر صادقة... كما كانت دائما تفعل .. أم تظل صامتة تنصت له؟!.

احس بصمتها فقال لها:

ـــ ما بالك صامتة.. لاتجيبينى.. أنا لم أعتد منك هذه السلبية.. أم أنك لم تشتاقى لى.. أو ربما توقفت عن حبى؟!

أجابت بهدوء بعد أن صنعتها تهمته:

ـ نعم .. لقد توقفت عن حبك.. حسب مفهومك أنت للحب، لقد توقفت عن حبك.. ولكنى ما زلت أحبك.. بأسلوبى ومفهومى أنا للحب.

أحبك على طريقتي، وليس على طريقتك...

واستنكر فلسفتها فى الإجابة

قال:

ـ هل للحب بيننا أساليب ومفاهيم مختلفة.. إنى أحبك..

أكاد أطير شوقاً لك ؟!

ـــ اعذرني.. أنـا لا أفهم معنى كلمة أحبك.. حينما تقـولها لي.. ولا أدرك ماذا تقصد بالشوق.. لذا لن أجيبك.. إلى أن أفهم معاني كلماتك..

أستشاط غيظا منها.

قال:

ومتى إن شاء الله ستفهمين لغتي؟!

سأفهم لغتك المبهمـة هـذه.. حينما أفهم تصرفـاتك وأفعالك.. وأطابقها مع كلماتك.. في السابق.. كنت أفهم وأصدق.. ما تنطق به من كلمات حب وأعتبرها تعبيرا لمشاعرك نحوي.. ومن ثم تأتيني أفعالك نقيضا لكل ما تقول.. والآن.. علمتني الجراح والآلام أن اتروى .. لا أصدق الأقوال بل أنتظر الأفعال ففيها الأدلة والبراهين .. الآن أتمنى أن لا أسمع منك كلمة أحبك أو اشتقت إليك.. أتمنى أن أسمعها منك .. من خلال أفعالك وتصرفاتك..

اعذر صراحتي.. حينما نتألم نصبح أكثر جرأة.. أكثر صدقاً .. أكثر قسوة حتى على انفسنا.. أنا أحببتك وما زلت أحبك.. كل كلماتي وأفعالي.. تشهد على صدق مشاعري.. حتى الآن وأنا أقسو عليك بمواجهتي هذه.. هذه المواجهة دليل آخر.. لحبي.. فنحن لانصدق إلا مع من نحب.. ولا نواجه إلا من نحب بالحقيقة..

كلمات الحب والشوق .. التي أسمعها منك.. لغة ملقنة لك.. حفظتها دون أن تدرك معانيها.. أوتشعر بأحاسيسها..

أنت للأسف ببغاء كلماتك صدى للفراغ فى صدرك!

إنى أستــودعك اللــه.. لــن نلتقى .. إلى أن تصبح كلماتك مطابقة لأفعالك!..

إنى أستودعك الله.. إلى أن تصبح على مستوى الوعي.. فى الحب.. فى تطبيق القول والفعل.

وأغمضت عينيها.. تبتلع شــوك قسوة التجـربة.. وتجتر فى خاطرها ذكريات الخداع..

● زهـــــــــرة ●

لعمرى .. كم من صامت شيد صروحا بأفعاله..

وكم من خطيب هدم حضارات.. بكلماته الرنانة الجوفاء!!

عريس الغفلة

حبيب أمه قرر أن يتـزوج! «وخمسة فى عين اللى ما يصلو على النبى».. عريس كامل ما شاء الله فى كل شىء.. ورث عن والـده ثـروة لا تعد ولا تحصى. يمتلك فيلـلا على كـورنيش شارع الحمراء، وشاليهـاً فى «أبحر» يقع على أجمل ربوة، وبـ سـلام.. سيـاراته من كثـرتها، تحسب أنـه يمتلك سيـارة يتماشى لونها مـع لون كل بدلـة! «دلوع مـاما».. لا يـرتدى سـوى ملابس غـربيـة.. لأن الثوب يضيع كسمـه.. والغترة والعقال تخرب له تسريحة شعـره، لذلك.. هو يـرتدى الثوب والغترة والعقال فى المناسبات، عيد الفطر وعيد الأضحى فقط لا غير! طبعا .. شهـادة الثانـوية العـامة.. رسب فيهـا ثلاث سنوات، والسنة الرابعة.. ابتاعتها والدته من بلد آخر!

وهكذا دخل الأخ الجامعة بـالغش وفيتامين «واو».. الذى مفعولـه أولا بأول.. لكن الخائب يظل خائبـا؟ الأستاذ ظل فى الجامعة عدة سنوات، وعدد ساعات دراسته.. لا تتعدى عدد أصابع اليد.. يا حضرات!

المهم.. العريس ولد «حليوة».. كل يوم يذهب إلى الحلاق. يصفف شعـره كالبنـات، فـالشعـر كالحريـر.. على الخدود يهفهف، ويـرجع يطير ! «عذراً للمـرحوم عبدالحليـم»! وأما عينـاه.. فذابلتـان ونـاعستان، ومشيتـه.. من الـدلع مائلـة وكسلانة،وصوته .. من كثرة نعومته لا يسمع إلا بسماعة!

ملخص الكلام يا سادة يا كرام.. عريسنا إنسان غير مسئول، طائش.. لكن المصيبة. أنه قرر أن يتزوج! ووالدته تريد أن تفرح به.. لأنه «واحد وحيلة».. وحسب تفكيرها وعقليتها.. ابنها عريس لقطة.. وبنات الناس حياتهن بالنسبة لها لعبة! هى تدرك أن ابنها.. برج عقله مؤجر.. وأخلاقه لا تساوى «هللة»، إلا أنه فلان ابن فلان.. حسب ونسب ومال للركب.. وألف بنت تتمناه! تفكير سخيف وأنانى! يا ترى.. لو عندها بنت.. تتمنى لها عريسا بهذه المواصفات؟ الله أكبر على الإنسان الأنانى.. الذى يبنى سعادته وراحته. على شقاء الآخرين وتعاستهم! .

الست الوالدة خطبت لابنها فتاة.. من أحلى بنات البلد، علم وجمال وأخلاق وأدب.. وتمت الموافقة، حظها العاثر رماها فى هذا النصيب. وحقا حينما يأتى النصيب يخرس اللسان ويعمى البصر، ولا نقول سوى هذه مشيئة القدر! وتم الزواج، العروس حملت من أول شهر.. وبعد فترة قصيرة.. أصبح الحال لا يطاق ولا يحتمل،

عريس الغفلة.. فضائحه أصبحت على كل لسان، مستهترا وفاشلا وسليطا، ويده يمدها على زوجته لأى سبب كان! والدته ترى أمام عينيها.. ظلمه وإهانته لبنت الناس.. ولا مرة فكرت أن تقول له:

ـ يا ولدى حرام عليك.. اتق الله، المهم عندها سعادته، وفى نظرها هو دائما على حق.. وهى تؤمن أن هذه الأيام سوق البنات واقفة، وزوجة ابنها يجب أن تحمد الله.. أنها وجدت عريسا.. فى زمن العوانس فيه أكوام أكوام!! يا لطيف، يا

لطيف على الإنســان حينما يظلم.. يتجبر وينسى.. أن عقــاب الله للظالم آت مهما تأخر! الأخ بعـد الزواج.. شعر أنه أصبح رجلا ـ ســلامة الرجولة منه ـــ فقرر أن يترك الجامعة.. لأن خير ربنا كثير.. وفتح مكتبا وادعى أنــه تاجر.. ورجل أعمال كبير. وهكـذا أصبح كل يوم فى بلـد.. يـربح صفقة تجاريـة ويخسر عشرة، وأخبار مغـامراته العـاطفية ومشـاكله.. فى الصحف الغربية تنشر!

الــزوجة الغليــانة.. أنجبت طفــلا جميلا، ومن أجل نــور عينيــه.. قــررت بنت الأصول. أن تصبر وتتحمل الكــارثــة.. «رضينا بــالهم والهم لم يرض بنــا»! أخس الرجــال، عاد من إحدى رحلاته.. وفى يده زوجة جـديدة! عاد إلى بيته «ويا شر اشتر».. طـرد أم ولده وولـده ألعن طرد! الجبـار.. وضع لها ملابسهــا وملابس ابنهــا.. فى أكياس القمامــة.. ورمى بها فى الشارع! وقال لها: أنت طالق.. وما لك عندى حقوق! «يا ويلك من الخالق.. هـذه المرأة إنسانـة لها حقـوق وكرامــة.. كيف تعاملها هذه المعاملة كأنها حيوانة؟»

خرجت المسكينة من بيتها، ابنها على كتفها.. ودمعتها نار مستعرة على خـدها، وعينــاها جــاحظتان إلى السماء.. وعلى لسانها لا تسمع سوى كلمة «يا الله.. يا الله». وما ربك بغافل عن دعـوة مظلوم.. ولا راد لشكـوى مهمـوم، مرت الأيــام.. وانجـرف قليل مخافة اللــه.. إلى جميع أنواع الـرذيلة.. هـو وزوجته الجديـدة، التى عاملت الأم بأسوأ معاملــة فجعلتها تتحسر فى كل دقيقــة.. على الزوجــة الأولى وأخلاقهــا النبيلة! ومن القهر مــرضت الأم مرضــا شديـدا.. نقلت على اثره إلى

المستشفى لكن حبيب أمه آخر من يعلم..

لأنـه أصبح لا يـدرى عما يدور حـولـه.. بسبب زوجتـه وأصحـاب السـوء.. فقـد أصبـح من أهل الكيف، مـدمن مخدرات! سبحان رب العباد، عـاقبه الله أشد عقـاب.. وبلاه بأكبر بلوى!

الأم بعد فترة.. توفيت، وهو أصبح عاطلا مفلسا.. يتسكع ليل نهار.. من مقهى إلى مقهى والـزوجـة الجديـدة، حينما اكتشفت أن هـذا الزواج لا فـائدة فيه ولا مـربح.. لجأت إلى سفارتها، وسـافرت عـائدة إلى وطنها. أمـا الزوجـة الأولى.. فربنا عوض عليها بابن الحلال.. الذى وضعها هى وولدها فى عينيـه.. وحقق لها كـل مـا تتمنـاه، سبحـانك ربى منصف العباد..

● زهـــــرة ●

لولا فسحة من الأمل.. أراها من خلال عينيك،

وكلمة حنونة أسمعها بين حين وآخر..

من بين شفتيك، لما كنت فى درب الحياة بقيت،

ولكنت منذ زمن طويل يا حبيبى انتهيت..

انتهيت..!

أحب الحب فيك

دون تحفظات أحبك.. دون مقدمات أحبك.. أحب الحب فيك.. أخلد الحب من أجلك.. أبنى صرحا عاليا للحب.. كى أسكنك أنت وحدك فيه!..

احترم حبى، احترم حزنى، احترم صبرى، إن عمر حبى لك أطول من عمر الخلود، إن عمق وفائى لك.. أعمق من كل البحور! اقترب منى.. واجلس بجانبى، لا تخنق الحب فى صدرى.. قبل أن تناقشنى، اقترب منى.. وانظر فى عينى.. لا تسحق الأمل بين ضلوعى.. قبل أن تفهمنى، سؤالك عنى يعيد لى ثقتى.. بحثك عنى يطمئن نفسى. إنى أحتاج لك اليوم.. أكثر من أى يوم مضى.

اليوم أمر فى أشد أيام محنتى، أمر فى أوحش أيام وحدتى فساعدنى.. قبل أن يصبح القهر توأم نفسى!

لا تعتذر لى بأعذار واهية، لا تلق بى فى كل لحظة.. فى هاوية، إنى بشر.. أحتاج منك إلى الحنان، أحتاج منك إلى الرعاية والاهتمام، لاهثة أنا بعدك، ضائعة أنا دونك

لا. تلم ضعفى.. فأنت من عودتنى.. أن أجدك دائما تساندنى، لا تقس على لهفتى.. فأنت من عودتنى أن أجدك دائما تحمينى. كيف لى أن أشطب اسمك.. من قاموسى؟! واسمك هو كل الأسماء.. فى فهرسى! كيف لى أن أمحو صورتك.. من جفونى؟! وصورتك.. هى كل الصور فى بؤبؤ عينى! طال ليلى.. وطالت وحدتى.. وقست على غربتى! يا

غريبا.. أرى فيك مـوطنى، يا عزيزا. أجـد فيك عزتى.. كبلنى بقيودك،

وحررنى تحت نفوذك.. هذا مطلبى،

فأرجو ألا تردنى، وتلبى لى رغبتى!!

● زهـــــــرة ●

أكتب للحب..

أكتب للمجهول..

أكتب لك

فانت المجهول..

الذى لم تقع بعد عليه عيونى..

ولم تعثر عليه خفقات قلبى..

حب مع وقف التنفيذ

مســافر.. أشقــاه السفر.. رحــال أتعبه الترحــال.
يشبع.. ولا مــاء يــروى.. جــوع.. لــلإحســاس والمث
الصادقة.. لا مدى له.. عطش .. للحب والعطاء.. لا ارتو
عالم عجيب.. اندحرت فيه المثــاليات.. وسقطت الأخلا
اقتلعت منه الجذور.. عالم.. نصبك حاكما خــادعا.. و
ظالما! اعذرنى.. اعذرنى يا عيونى.. أنت فى عيونى الآن.
سوى هذا الحاكم.. وهذا القاضى!

طــال انتظــارى لــك.. وطــال صبرى عليك.. أواه..
أطــول.. من ليل الانتظار.. ولا ســاعــات أبطأ.. من س
الصبر.

مواجهتى لك الآن. ليست ذلا منى لك.. وليست خ
إليك، وليست استجداء لك، مواجهتى.. حد فاصل.. لت
ولتحديد ما بيننا.. وهى تعرية لنواياك نحوى!!

أنــا لا أشكــو لك حــالى، ولا أحكــى لك عما أصــابن
امرأة.. نبض عروقى كبريــاء.. مجرى الدم فى شرايينى
وخيلاء.. إلا انى بين السماء والأرض.. بين الــواقع وا
بين القبول والرفض، محال أن أبقى، أخبرنى ماذا أعنى

لن أترك نفسى.. طعما لشكوك الذكريات.. تقرر م
معك.. تسيرنى.. تختــــار دربى.. تغير خطــوتــى.. أ
قســوتك.. وإهمالك.. فأبعــد عنك.. وأمحوك من أيــام

فجأة.. أتذكر .. ذكرى حلوة، وكلمة واعدة.. ونظرة صادقة.. فتنهار ثورتى. وتتراجع عزيمتى وأعود كما أنا، كأنى ما جرحت منك، ولا أهملتنى. ولا غضبت منك وعليك.. أعود إلى دفئك.. أحتمى بحنانك.. لعبة فى يد الذكريات.. أصبحت أنا..

أكره أن أقرر غامضا.. أكره الخطوة الغبية.. التى قد أندم عليها.. لكنى ضقت ذرعا بك.. وبنفسى وبالذكريات..! وأتيتك اليوم.. وحروف تحبو ببطء.. لتلتصق، وتكون كلماتى.. وكلماتى تخطو بثقل.. لتجتمع وتكون جملى.. أتيتك اليوم.. وأنا فى حالة حب.. مع وقف التنفيذ.. إلى أن تحدد موقفك..

إنى أتحداك.. وأجبرك.. أطالبك.. أن تبوح .. بما فى صدرك:

هل بعتنى؟! أم ما زلت على عهدك.. ومازال حبى يتصدر قلبك؟!

أريد منك.. دليلا قاطعا.. كى أعرف.. أين أضع خطوتى.. ولا أندم يوما.. وألوم نفسى على تهورى.. أريد جوابك.. واضحا محددا.. لأواجهك به.. إذا أتيتنى يوما ثائرا.. تدعى أنى فرضت عليك نفسى.. فأخرسك: «أنا لم أجبرك.. أنت الذى أخبرتنى.. أنك تحبنى وتريدنى»..

أو ربما أتيتنى يوما عاتبا.. تدعى أنى هجرتك.. فأسخر منك:

«أنا لم أهجرك.. أنت الذى أخبرتنى.. أنك لا تحبنى.. ولا تريدنى»!

إنى أنتظر جـوابك.. حدد مـوقفك.. مشاعـرك.. كى أقرر بثقة وأمان:

أأبقيك فى داخلى كما أبقيتنى..

أم أبترك غير نادمة كما بترتنى؟!

● زهـــــــــرة ●

الأمانى الغامضة..

آلامها أقوى بكثير

من آلام الواقع المر..

والحقيقة المبتورة!!

رحلة عذاب أمومة

اليوم.. لو أراد أحد من البشر.. أن يبكى لسبب ما، لن يجد دموعا يبكى بها، دمـوع البشر جميعهم. انسابت تتزاحم من مقلتيها!

اليـوم.. تفجر فى حنـايـا صدرهـا، حـزن العمر وعـذاب السنين.. وزمجر فى خطوط وجهها، حرمـان.. وشقاء العالم أجمعين!

اليوم، مذبوحة أمومتها.. حتى العصب، تجرى بها تلهث.. تسعفها.. قبل أن تفقدها، قبل أن تسلب منها.

اليـوم، هـذه الأم مسلـوبـة أمـومتهـا.. فى ردهـات هـذا المستشفى، خـائفة مـذعورة، مما يخبـىء لها غدهـا، تتجلد بشجـاعـة وهمية.. وتـوقظ سبـات أمل كـاذب.. فى كهـوف عينيها، وتكرر عبارات مبرمجة بين شفتيها: «لابد بعد العتمة من إشراق، ولابد بعد الضيق من فرج» وبين الرعب المخيف.. والاطمئنـان المفتعل، وبين اليأس القـاتل.. والأمل الضعيف، تتأرجح أمـومتها.. ترتجف مـذعورة.. تـولول فى صـدرها، وتتشنج الآه فوق أوتار صوتها.. لقد عبثت الآلام فى حياتها.. واتخذت من أيـامهـا ملعبـا.. تمارس فيـه فنـون جبروتها، فأذاقتهـا جميع أنواع تصـاريفها، ولكن هموم العمـر كلها.. هانت .. وتفهت.. أمام مصابها فى هذا اليوم.

اليوم تـاريخ الألم، بلغ أعماق نخاع الصبر فيهـا، فبلغت

ذروة المعاناة، آلامها نخرت هيكل الصبر الشامخ فى أعماقها.. فـارتخت أطـرافها، تـآكل هيكل الصبر.. المشيـد فى داخلهـا، ودكت قواعـده.. التى كانت تلـوذ بها فى محنها.. لم يبق لها.. سوى بصيص أمل خافت.. وهى تحمل أمومتها بين ضلوعها لتنقذها.. قبل أن تفقدها.. فتفقد آخر بسمة أمل لديها!

جلست أمـــام الطبيب.. وأخـذ يشرح لها حـــالـة ابنهـــا الصحية.. قال وهـو يقرأ بحسه الإنسانى.. ضخـامة فجيعة وقع الحديث عليها:

ـ سيدتى.. علاج ابنك سيطول.. سيطول جدا.

وتناسلت.. وتتـابعت الآهات.. من بين شفتيهـا.. وتأجج رماد عذاب عمرها.. جمرا فى صدرهـا..-فانهمر دمعها غزيرا من مقلتيها،

كم سيطـول عـلاج ابنهـا؟ العلم عنـد اللـه، هل سيشفى تماما؟ لا يعلم الغيب إلا صاحب الغيب.

وأغمضت عينيها.. مستسلمة لمشيئة القدر.. حـامدة الله على كل ما قدر لها، وجلست فى غرفة الانتظار.. ريثما تحضر غرفة لتنويم ابنها، كانت تنظر إليه شاردة الذهن.. يدور أمام عينيها شريط ذكـريات طفولتـه.. منذ أن كان طفـلا رضيعا، تذكرت، حينما كـانت تداهمه حمى خفيفة.. أو آلام التسنين.. كـانت تحمله طـوال الليل.. وتـدور به.. وهـو يبكى.. إلى أن يهدأ.. وتظل عينـاها سـاهـرتين.. تحرسانـه .. متيقظتين لا تنـامـان. الآن.. هـا هـو أمـامهـا.. الألم والقلق.. والخوف.. جميعها تنطق من كل خـط.. فى خطوط ملامحه، يمـد يده لها

بين حين وآخر.. يستنجد بها، وهى عاجـزة.. ليس بمقدورها أن تفعل شيئا، عـاجزة.. حتى عن البكـاء أمامه، كى لا تـزيد خوفه خوفا. وتزيد همه هما.

وقفت وحيدة.. لكن صامدة.. أمام نوائب الحياة:

وقفت وحيـدة.. مقطـوعـة من الأهل.. والأصحـاب والأحباب، لكنها موصولة برحمة من ربها.. رب العباد..

وعلا نور الايمان جبينها، فـرسمت فوق شفتيها.. بسمة أمل بـاهت، وسـوط من لهيب حنـان الأمـومة.. المغتـالـة فى أعماقها.. يصرخ صرخـات مبحوحة حـادة فى صدرها: ـــ يا لضعفى، يا لقلـة حيلتى، كيف لى أن أساعدك.. يـا قرة عينى، ربى.. من على بمن يأخـذ من بـدنى عـافيته.. ويسبغهـا على ولدى.. لتهبه الحياة والعافيـة.. فيعود كما كان.. تصدح منه ضحكـة ربيع الشباب، وتفـوح من إرادتـه.. آمال طموحات المستقبل.

يـا ولدى.. رحلـة العذاب نبـدأهـا معا.. أنت تـرقد فـوق سريرك، وأنـا أقابلك، أجلس أمـامك عاجـزة.. لا أملك سوى تسبيحى وصـلاتى، وأمومتى المذعـورة.. ترتجف خـوفا فى جـوف، ورحى القلق.. تطحن اليابـس والأخضر فى عمـرى، وعذاب الخوف.. يأكل حواف قلبـى، وكلمة الآه.. كالإزميل.. تنحت ما تبقى من أمل سعدى.

يـا ولـدى.. يا فلـذة قلبى، عســـــى الله أن يـؤجـرك.. ويؤجرنى خيرا.. فى رحلة العذاب هذه.. يا أعز الناس عندى!.

● زهـــــرة ●

يا رب خذ كل آت،

وأعد للجسد المسجى نضارته..

ليشرق فجر سعدى بقلبى..

حتى لو كان الثمن..

هو كل ما تبقى..

من أيام عمرى!.

أنا والزمن

أنا والزمن

النهار يطول.

والليل يطول أكثر.

الوقت يمر ببطء،

وغيابك عنى يطوقنى.. بسلاسل من الضيق،

وقيود من الكدر.

لا أحد يخفف عنى قسوة فراقك.

لا أحد يؤنس وحدتى فى بعادك.

أسبوع كامل، لم أرك. أسبوع كامل،

لم أسمع صوتك. سبعة أيام،

ساعاتها لا تنتهى.

فى بعدك.. لا يكون اليوم.. أربعا وعشرين ساعة، بل يكون فى الساعة الواحدة.. أربع وعشرون ساعة.

النهار أطول من الليل.. ويأتى الليل.. فاذا هو أطول.. من أيام العمر كله.

ماذا أنا فاعلة بك؟! أنت تزحف، لا بل أنت ثابت، تأبى الحركة..

زرت جميع صديقاتى، جسدا بلا روح. تحدثت معه طويلا، بذهن شارد.

قرأت كل ما وقع بين يدى، ولم أعِ حرفا مما قرأت.

نمت ساعات طـويلة.. فى شبه غيبوبـة.. ولم تكن ساعات النوم الطويلة هذه.. إلا إغفاءات دقائق.

كل هـذا فعلتـه، عل وعسى يمضى الـوقت، ويأتى يـوم اللقاء. ولكـن هيهات.. السـاعـات عمر. والنهـار زمن. والليل دهر.

وأخيرا..

استسلمت للحقيقة.

أنا والزمن.. فى غيابك.. نصبح أعداء!

قيود من حرير

وأخيرا.. أخيراً ذقت طعم غيرتـك.. وأخيرا.. نطق صمتك، وخرجت من زنـزانة هـدوئك وتحفظك، وإخفاء مشـاعرك.. وثـــــرت فى وجهى، وأعلنـت رفضك واعتراضـك، صحت غاضبا.. وبـدأت تملى أوامرك: هذا ممنوع، وذاك مـرفرض، وكل كبيرة وصغيرة فى حيـاتنـا.. هـى منك وإليك، وأنت من تقرر. كل قرار فى مصيرنا.. مهما كان تافها أو خطيرا.

أخيرا ذقت معك لأول مرة.. طعم شهـد غيرتك، فاحتوانى لهيبهـا المحرق.. الـذى سعيت له دائما.. لأشعـر من خلالـه بلسعة الحب الصادق.. تدغدغ فىّ الإحساس، وتزرع كلماتها الثائرة.. لهفة شوق الأمان.. فى درب مشوارى معك.

لأول مرة.. لا يخيفنى غضبك، ولا تـرعبنى ثورتك، لأول مرة فى تاريخنا معـا.. لا أحاول أن أهدئك أو أسترضيك.. بل تـركتك يـــزيـد غضبك، وتشتعل ثـورتك، وأنـــا مبهـورة، مستسلمة، أكتم فرحة.. تكاد تنطق فى عيونى، كانت كل كلمة غيرة منك.. تلثم كل ذرة فى مشـاعرى.. وكل مـلاحظة غيظ.. تزيدنى غرورا.. وتأكدا من حبك لى.

نعم.. استقبلت غضبك.. وثـورتك وتأنيبك.. بكل رحابـة صدر، استقبلت حمم بركان غيرتـك.. بنشوة ولذة ومتعة. لا تضاهيها متعة. لقد انتظرت هـذه الثورة طويلا، واستفززتك مرارا..

وأخيرا.. هـا أنت تفصح عن غيرتك.. التى تـؤكـد لى حبك واهتمامك، تؤكد لى كل ما أريد.. أن أتأكد منه منك لى.

بفرح مقروء فى عيونى.. مكتوم فى صدرى، جلست أمامك كتلميـذ ذكى مشـاغب.. يـروق لـه إثـارة الشغب.. ليخـرج مدرسه من روتين الدرس، خصـامك لى كان غزلا، تأنيبك لى كان مديحا، عقابك لى كان فوزا ونصرا.. صـحيح ان حديثك.. لا أساس له من الصحة، اتهاماتك.. غيرتك باطلة.

بكلمة واحـدة منى.. أستطيع أن أثبـت لك.. خطأ كل مـا تقول وتدّعى علىّ، إلا انى لم أحـاول أن أرفض.. أو أناقش أو أدافع، لقـد أسهبت فى غضبك، فكـان مملـوءا بـالغيرة.. المحبوسة فى داخلك.. واتهاماتك مملوءة بالانتماء.. الذى طالما طالبتك بـه، وتركتك تخرج ما فى جـوفك من غيرة وحب وأنا أسجل.... وأخزن فى ذهنـى كل كلمة.. فقد كنـت متأكدة.. أن ثورة غيرتك.. لن تتكـرر إلا بعد أمد طـويل، فأنت رجل.. لك قدرة عجيبـة.. على كتمان مشاعرك، وإخفاء انفعـالاتك.. لذا أردت أن أسجل هـذه اللحظـات فى ذاكـرتى.. كى أستحضر ذكـراها.. كلما شعـرت.. أنى بحـاجة لإثبـات حبك لنفسى، فنحن لا نغـار.. ولا تلهبنـا سيـاط الغيرة، إلا على من نعشق ونحب.

لا أريـد شريكا.. لا يشعـر بى ولا أشعر بـه، لا يحاسبنى ولا أحـاسبه، لا يخاف على ولا أخـاف عليه، لا يغـار على ولا أغار عليـه، الغيرة وقود للحب، المهم ألا تصل إلى حـد الشك.. فتقتل الحب بدل أن تحييه.

غيرتى عليك.. كـانت ولا تـزال.. أكثـر موضـوع يشتـد الخلاف بيننـا عليه.. واليـوم.. أخيرا حان دورك لتشعـر بما أشعر، حان دورك، لتغـار وتشتاط غضبا وعتابـا، وأنا حان دورى.. لأمارس معك ذات الأسلوب.. الـذى تمارسه معى.. حينما تشتعل نار الغيرة. فى كل جارحة من جوارحى! أسلوب الارتياح والرضا المكتوم..

والمزاح والعناد المعلن.

فهمت الآن.. ماذا يعنى هذا الأسلـوب.. فحينما يغار أحد المحبين على حبيبه. فالطرف الثـانى متأكد من شعوره وحبه، ومتأكد من بطلان تهم الغيرة.. الموجهة إليه،

لذا.. فأنت دائما تتقبل ثـورتى وغضبى من جنون غيرتى عليك.. بصدر رحب.. فهذه الغيرة بـالنسبة لك.. إثبات لحبى لك ينشيك ويرضيك.

هـا أنت تبوح وتعلن.. مـا حاولت كتمانـه، ها أنت تفجـر غيرتك.. دون قصد،

هـا أنت تخرج من عـرين تحفظك، وتعـاتب وتلـوم وتحاسب،

ها أنت أخيرا تفرض علىّ قيودا.. طـالما انتظرتها، قيود من حرير.. هى قيود الانتماء لحبك،

حبك أنت،

أنت فقط..

● زهـــــــرة ●

حبيبى..

فنجان قهوتك سيبرد،

اهدأ..

دعك من القيل والقال،

فحبى لك..

أكبر..

من كل هذه المهاترات!

نزاع الروح

فى هـذه اللحظـات.. وأنا أنتـزع حبك من صـدرى.. وأنـا أطعن.. كل مـا فى داخلى.. الآن أصبح البكـاء كما الضحك.. الحزن كما الفرح.

أهـزأ من مشاعـرى.. إن أنا استعملت هـذه التعابير. فـلا البكاء ولا الحزن.. سيعبران عن هذه المعاناة.. جميع قواميس الحزن.. هزيلة.. ضئيلة.. لا تفى بالتعبير.. أمام هذا الصراع.. أمام هذا الفناء.

أن أتوقف عن حبك.. أن أفصلـك عن ذاتى.. معنى هذا أن أتبرأ من كل مـا فى داخلى.. أن أجرد قلبى من الإحسـاس.. أن أجفف عـروقى من رحيـق الحيـاة أن أقتل الآمـال وأسحق الأحلام.. ثم أطالب النفس بـالاستمرار.. وهذا طبعا محال.. وهو المحال الذى يأتى بعد الأمل.. فى أن يكون هناك مجال..

ليس عجيبا.. أن يقسو علينـا الآخرون.. أن نظلم منهم.. أن نعـانى من اضطهادهم.. وإذا مـا حدث منهم ذلك.. فإننـا نستطيع أن نقـاوم.. نتظلم.. كما يمكننـا أحيـانـا.. أن نلتقط أنفـاسنا من جبروت الآخـرين.. ونصبر النفس ونواسيهـا.. على ما أصابها من الضير.. ولكن.. حينما تكون أنت الجزار.. وأنت الـذبيحة.. أنت الحاكـم.. وأنت المحكوم.. أنت الظـالم.. وأنت المظلوم.. فكيف يستطيع هؤلاء الأضداد.. أن يكونوا فى هيكل واحـد؟! فى جهـاز عصبى واحـد..؟! فى دورة دمـويـة

واحدة..؟! تحت جلد واحد.. وفى جسد واحد..؟!

هـذه هى قسـوة القسـوة.. ويأس اليأس.. وظلم الظلم.. حتى النفس.. لا تستطيع أن تحنـو.. وتخفف من مصـاب الـذات.. ما أصعب أن تكـون أنت ذاتك ونفسك أعداء..! ومـا أصعب التعايش مع صراع هذه الأضـداد.. «عجبا أن الواحد منا يحمل فى الداخل ضده»!!

يا وجع السنين

وطـرقت باب الأهل.. فلـم أجد لى قـريبـا، وطرقت بـاب الأصحاب، فلم أجـد لى صاحبا، وطرقت بـاب الأحباب.. فلم أجد لى حبيبا.

فعدت أتسكـع فى دروب الحياة.. يا زمنـا.. ما عـاد الأهل أهلا، ولا الأصحاب أصحابا.. ولا الأحباب أحبابا.

يـا زمن.. اليـوم القريب.. إن لم يعش حيـاتنـا.. ويسلب إرادتنا.. يرفض أن يكون لنا قـريبا! والصاحب إن لم يصعد على أكتـافنـا.. ويسيطـر على آرائنا.. يـرفض أن يكـون لنـا صاحبـا، والحبيب إن لم يخدعنا.. ويلهو بعواطفنـا.. يرفض أن يكون لنا حبيبـا! هذا زمن العجائب! رحم اللـه زمنا.. كان القريـب سترا وغطاء، والصاحـب عوضا وسنـدا، والحبيب نبعا للحب والوفاء.. ومعقداً للأمل والرجاء.

مالت يا ربى فى عيونى مـوازين الحياة، واندثر الإيمان فى داخلى.. بكل هذه العـلاقات والمثـاليات، التى حـافظت عليها أعواما، وكلما مرت بى محنة.. تثبـت لى اندحار الأخلاقيات.. كذبت نفســى.. وقلت: محال! الحب مازال هو نبـض الحياة، وأتت الأيام بقسوتها.. تثبت لى ظنونى وعدم ثقتى ببشر هذا الزمان، وفضحت لى ما كان العقل عنـه غافلا وساهيا، أواه.. ما أبشعك يا هذا الزمان!

هل وجدت نفسك يـوما.. مهـزوما فى معركـة.. أنت فيها

منتصر؟ هل ذقت يوما.. طعـم مرارة الانسحاب وأنت مجبر؟ هزيمة وانسـحاب.. ليس بسبب ضعف منك.. ولا بسبب جبن فيك، بل لأنك أدركت أنك تـورطت .. فى معـركـة ظلم ومكـر وخـداع أنت تتسلح بـالحب.. وصفـاء النيـة والمنطق، ومن يحاربك تمنطق بـالنفاق.. والخبث والخداع سـلاحا لـه، هو جعل الخفـاء تـرسـا يختفى وراءه.. وأنت تقف فى العـراء، معركة.. كأنما تواجه وطاويط فى عتمة الليل، تأتيك على غفلة من حيث لا تعلم فتخبطك خبطـا عشوائيـا وتهرب مسرعة.. تختفى فى الظـلام.. فـلا تفتح عينيك من صفعتهـا.. إلا بعـد اختفائهـا، فتعجز عن معـرفة غريمـك.. وأنى لك أن ترد على ضربة.. أتتك على غفلة من مجهول، فى غيـاهب الظلام، ساحة وغى يساء لك فيها، تطعن فى ظهرك فيها، لا تعرف العدو من الصديق فى أرضـهـا، كل ما أنت متأكـد منه.. أن هناك حـربا قذرة تـدور حولك، جميع أطـرافها يحاولون أن ينـالوا منك، بخنجر الغدر. يطعنونك برصاص الكذب.. يصيبونك ومن ثم إلى صـدورهم يضمـونك، سحقـا لقـوم.. بثـوب الأخـلاق والمثـاليات تستروا.. فخـدعـونـا.. وبوجـوه غير وجـوههم تنكروا.. فهزمونا.. ووقفوا أمامنا يبتسمون لنا! والله وحده يعلم.. مـاذا يخفـون لنـا فى سرائرهـم.. ومـا هـم فى أعماقهم ينوون!

وجيع.. سقوط الجبار المنتصر.. أسيرا فى زنزانة المراوغة والخداع، والأكثر وجعا.. هو يقينه بأنه بركلة واحدة.. يحطم قيـود الظلم.. ولكن يعز عليـه تفجير الموقف.. خاصـة .. وأن الأذى سيقع على من كان يحسبهم يوما.. أعز الأحباب.. وأعز

الأصحاب.. فأتته الأحداث بما لم يكن فى الحسبان!

مرعب.. قاهر.. ظلم الأحباء! يجعلك كنسر جارح.. قصت أجنحته وهو غافل.. فترك سجينا فى الأرض.. وهو ما اعتاد.. إلا التحليق فى أعالى السماء.

لكن العظيم.. يظل عظيما والقوى يظل قـويا.. مهما مرت عليه نوائب الحياة.. بل انها تـزيده حكمة وفطنة.. واستهزاء بما يدور حوله.. من نذالة هذه المهاترات!

وهكـذا.. أعلنت عصيـانى وتمردى على الخلق.. وبـدأت رحلة البحـث عن الذات، بدأت رحلـة البحث، والهم والحزن، من مرارة تجربة تجثم فوق صـدرى، والدمع على ما مضى، حفر مجراه فوق خدى، ولم يطل بحثى، وجدت أخيرا نفسى بعد ضياع فى برارى العمر، وجـدت عملاقا شامخا فى داخلى، خزن كل تجارب فـرحى وترحى. وجدت بركـانا متفجرا فى صـدرى، بحمم هى إحياء ذكـر.. ومنبع شعـر وثورة فكـر، وجدت القريب والصـديق والحبيب.. وجدتهم جميعهم فيك يا قلمى.

يا هذا القلم، هـا أنا أتكىء عليك، فأنت الرفيق والأنيس فى رحلة الوحدة والألم،هـا أنت القريب، الذى لا يتحكم ولا يأمر ولا ينهى، ها أنـت الصاحب الذى لا يستغـل، ولا يراوغ ولا يطعن! هـا أنت الحبيب الذى لا يخدع.. ولا يلهـو بعواطفنـا، ومن ثم .. على الإخلاص بحياتنا يقسم.

ها أنا أجلس على مكتبى، وبك يا قلمى.. أكتب ورقة تنازل واستسلام، أكتـب تعهدا ألا أحـارب بعد الآن الـزمان.. وأن

أكتفى بما قدرت لى الأيام، وأوصد بابى وأعيش هادئة هانئة مع ذاتى، تكفينى رفقتك يا قلمـى.. أعالج بك جراحـا أليمة.. اندملت على قروح ذكريات.. يكفى أن أشير لها أو أن ألمسها.. ليثور الفؤاد مستغيثا.. شاكيا باكيا من وجع السنين.

يـا قلمى، يـا قـريبى يـا صـاحبى يـا حبيبى، أصبحت مغـروسا كـالنصل فى فكرى، فـأسنـدنى فى رحلتى الطويلـة معك، وانصرنى فى كل خطـوة أخطـوهـا.. فى دربى الشـاق وراءك، فقد خذلنى الجميع.. ولم يبق لى سواك نصيرا!

● زهـــــــرة ●

رفقة القلم ..

بلسم للألم.

لا تحوّلْ جمري رماداً

لا أريدك بحــرا بلا أمواج.. لا أريدك سماء بـلا غيوم.. لا أريدك أرضا بلا براكين.. اغضب.. اقبل.. ارفض.. انفعل!

فلست من تـرضى بـــالصقيع.. فى الصيف وفى الشتــاء. ولست من تهوى الرضا.. فى الملل.. وفى الهناء.

أحبك رافضا.. أحبك ثائرا.. أحبك مرهقا.

لا تحول جمرى رمادا.. ولا تجعلنى قِطة سيـامية.. قابعة عند مدفأتك ليلا ونهارا!

أخبرنى.. هل يعجبك اليـوم شعـــرى الثـــائر.. الهائم.. المسافر.. فى كل البلدان؟! أو يعجبك كالبارحة. هادئا.. حالما.. مسترسلا كمياه شلال؟!

وكحل عيونى.. الأســود.. الفاحم.. يبرق فى داخلــه بياض العين. أتحبه، أم تحب عيونى؟ لا ترى ســوى سواد البؤبؤ.. وبياض العين.. وتبقى العين صــافية.. صفاء خيـوط الفجر. المنبثق فى سواد الظلام!

هكذا أنا.. فى كل يوم.. أريد أن أكـون لك .. امرأة جديدة.. كل شىء فىّ جـديد.. حتى حبى.. أريـد أن أقدمــه لك.. فى كل يوم.. له طعم ومذاق جديد.

مراهقة.. ومُرْهقـة.. فى حبى.. فقد عفت النضج الذى كان معى.. قبل أن أرىَ نور الحياة..

ما بالك صامت.. قانع؟ ما بالك.. سارح.. غارق؟

أرجوك.. لا تمُتْ فى جنون التجديد.. والابتكار..

أرجوك.. لا تجعل حياتنا مطوقة بقيود التكرار.. وتفرض على روح الإهمال.. تجاوب.. انفعل. فإن فـــاض بى.. ومللت الانتظار، وامتطيت جـواد التمرد والعصيـان.. سأرحل.. لن تجدنى.. حتى لو أصبحت كتلـة من الندم! وطلبت السماح.. إنى إن ثرت.. وهربت. لا أعود.. لا أعود..

بورصة العواطف

لست بحاجة لزيادة حجم إفلاسى العاطفى! لست بحاجة لإضافة ديون لرصيد مشاعرى..! يكفينى ما لدى من التزامات تجاه بنك قلبى..!

جميع حسابات الحب فى هذا القلب مكشوفة.. وجميع أرصدة المشاعر الصادقة.. مهددة بانهيار اقتصادى عاطفى. فى جميع فروع جوارحى.. منذ أن دخلت المضاربات.. فى بورصة الحب والعطاء فى عالمك.. وكل خطوة لى فى هذا العالم.. عبارة عن مجازفة. ودوامة من البريق.. الواهى.. الكاذب!

فى بداية المعاملة.. خدعنى ارتفاع أسهم الحب المزيف لديك، المتزايدة أسعارها بسرعة مغرية.. لكن.. لم تلبث أن انهارت أسعارها.. بعد أن فضح زيف قيمتها.. فأعلنت إفلاسى.. وانسحابى السريع.. منك.. ومنها..!

جميع أنواع أسهم الحب.. فى بورصة العواطف.. التى مرت بى معك.. خاسرة! حتى فى أيام الطفرة العاطفية.. كان نجاحا مؤقتا.. زال بزوال الطفرة.. صعود سريع.. وهبوط أسرع.. فليت هذه الطفرة ما أتت. ولا عرفنا بشاعة النجاح الكاذب.. فالجهل بالشىء.. أفضل من معرفته والتعلق به.. ومن ثم فقدانه.. هذه المبادىء اكتسبتها من تجربتى معك.. ها أنت الآن.. تضن.. وتبخل على.. بسيولة العواطف..

وتتهرب من إعطائى نصيبى.. وحقوقى المشروعة.. فى المضاربات العاطفية القائمة بيننا.. لقد قدمت لى فى بداية طريقنا.. جميع الضمانات والتسهيلات.. لكسب ثقتى فى المساهمات العاطفية معك.. وهكذا أقدمت عليك.. وكلى ثقة.. فى التعامل مع بنك عواطفك الوهمى.. وكلى أمل وإيمان.. بأن مدخراتى ستحفظ.. فى صناديق من الشوق واللهفة.. وأن عملية تبادل أسهم الحب.. وسيولة العواطف فيما بيننا كشركاء.. مضمونة الأرباح .. والنجاح الدائم.. هذا ما آمنت به.. وثقت بك. وأغمضت عيونى.. مسلمة لك أمرى.. ولكن.. سرعان ما ظهرت حقيقتك.. وبدأت تأخذ من رصيدى.. وتربح وتضيف إلى رصيدك العاطفى.. فى دفاتر توفيرك الخاص.. وخزنت حساباتك المهربة.. المختلسة من رصيدى.. تحت أرقام سرية..

وكشفت الأيام حقيقتك لى. اكتشفت أن التعامل معك.. أخطر أنواع التعامل.. فأنت بحق سوق مناخ متقلب.. لا يستقر على حال.. وبسرعة مذهلة.. استيقظ فى عقلى الحاسب الآلى للحقائق. وقدم لقلبى حساباتك المزيفة.. وهبط سعر أسهمك فى بنك قلبى .. بصورة فورية.. وحجزت على كل ممتلكاتك .. فى صدرى.. ودمغتها بالشمع الأحمر..

وسحبت رصيدك فى فؤادى.. لألقيه لك.. فحمدت الله.. لم أجد لك. رصيدا يذكر فى خاطرى..

وهكذا.. تخلصت بأعجوبة. من إعلان إفلاسى العاطفى الكامل. وعادت أسهم قلبى وعواطفى.. لوضعها الطبيعى.. عادت تتألق.. فى البورصة العالمية للعواطف المجمدة.

وأقسمت.. أقسمت.. بعد خوضى تجربة زيف خداعك.. أن أقف فى هذه البورصة إلى الأبد.. موقف المتفرج.. المراقب.. لا أشترى.. ولا أبيع.. فى أسهم خسارتها مضمونة.. وربحها كذبة مؤكدة!!

● زهــــــرة ●

«سوق مناخ» العواطف الكاذبة.. هو بحق.. كارثة هذا العصر!

أحلامى الوردية

أتسمع هذا النغم الجميل؟.. إنى أسمع صـوتك يا حبيبى فيه.

أترى روعة نور الفجر؟ إنى أرى وجهك يا حبيبى فيه.

أتشعر بندى نسمات الشروق؟ إنى أشعر لمستك يا حبيبى فيه.

اتستنشق شذى عطر الطيب؟ إنى أشم رائحتك يا حبيبى فيه.

هذه الأشياء المحسوسـة حولى.. أعيش معها، أتحسسها، أبحث عنها.. وأترقبها لأجدك فيهـا.. يا ضوء القمر، يا أشعة الغروب، يا بسمة الأمل، يا إشراقـة الفجر، يا نسمة الهناء، يا أحلامى الوردية.

تتسابق الطيـور.. تنشر نبأ موعد لقـائنا، فتنثر الأشجار أزهارهـا.. سجادة مخمليـة مزهرة لمجلسنـا، ويغطى الغيم أشعـة الشمس.. فتصبح مظلـة تحمينـا، وتقف العصـافير صفوفا منتظمة، تنتظرنا.. كأنها فرقة موسيقية.. تغرد أجمل سيمفونية، والجداول.. تغير مجراها.. إلى أن تتأكد.. أن ماءها ينساب بهدوء.. أمـام ناظرينا، والـديمة تهطل رذاذا.. يغسل لنا الطبيعة.

الكون جميعه اليوم.. لبس أجمل حلـة.. احتفالا بقدومنا.. بمواعيدنا..

وعادت مواعيدنا، وعادت أعيادنـا، عدنا كما كنا، بل عدنا أفضل مما كنا.. فقد علمنا ألم البعاد.. نعمة هناء اللقاء، علمنا عذاب الفراق.. سكينة جمال الوصال، علمتنا مرارة الأحزان. مذاق شهد الأفراح، وقهقهت عيوننا فرحا، وصدحت شفاهنا سعـادة، وعدنـا.. وعدنـا كما كنـا.. نعد أيـام العمر.. بعـدد لقاءاتنا.

● زهـــــرة ●

أشجار حديقتنا.. بذورها الحب، جـذورها الإخلاص، جذوعها الخلود، أوراقها الأمل، أزهارها الوصل والهناء..

حصاد الفكر العقيم

بكى الطفل.. وأخذ فى الصراخ: «لا لا يا ماما، لا تتركينى» وركض نحو أمه، انطلقت صرخة مذبوحة من الألم، وحاولت إحاطة الطفل بذراعيها: «لا لا تأخذوه منى هذا ولدى أنا، أنا التى ربيته، أنا التى اعتنيت به طوال السنين». فى هذه الأثناء.. تقدم رجل محسن.. وأخذ الطفل من يده بصمت.. ثم حمله وخرج من الغرفة.. وسط صراخ الأم الذى يصم الآذان.. وبكاء الطفل الذى يدمى القلوب!

وفى حديقة المنزل.. كان هناك ثلاثة رجال ينتظرون، وما أن أطل الرجل حاملا الطفل. حتى تناوله أحد الرجال الثلاثة.. وخرج الرجال.. وهم مزهوون بهذا الانتصار، وهدأ الصراخ وغاب البكاء..

هذه الصورة المحزنة المؤلمة، اختصرتها بقدر الإمكان.. حيث انى لا أستطيع مهما أطلت الوصف والشرح.. أن أصل إلى عمق المأساة.. فى هذا الموقف الإنسانى، لأن فيه عذاب طفولة طفل برىء!

ذات يوم.. خرجت هذه الأم من منزلها.. تحمل طفلها الذى لم يتجاوز آنذاك عامه الأول.. ومضت السنون، وأصبح الطفل فى السابعة من عمره، بلغ السن التى من حق أبيه أن يعيده إليه.. خاصة بعد زواج الأم. طبعا هذا الطفل لا يعى ما يدور حوله.. كل ما يدركه.. أن أمه فى الفترة الأخيرة. تبدو

دائما حزينـة باكية، تضعـه على صدرها.. كلما رأتـه ويزداد نحيبها، فكان ببراءة الطفولة يطيب خـاطرها.. بقبلات حارة على وجنتيها.. ويعدها بأنه سيسمع كلامها.. ويطيعها فى كل ما تأمره به. ويمتنع عن كل ما تنهاه عنه، مسكين هذا الطفل.. إنـه لا يعلم أنه سينتقل ليعيـش مع والده، وأنـه سيترك بيت أمـه، وليست هنا المشكلـة، فهـذا أمـر طبيعى عند انفصـال الوالـدين، حيث تقوم الام بحضـانة ابنها ورعـايته.. إلى أن يصل إلى السن التى يحق للوالد أن يحتضنه ويكمل المشوار، مع مـراعاة تهيئـة الطفل نفسيا لهذه الانتقـالة، مشكلـة هذا الطفل.. انه لا يعرف عن والده شيئا غير اسمه، فعندما حدث أبغض الحلال بين الزوجين.. وتركت الـزوجة بيت الزوجية، أخـذت ابنها ليعيش معهـا فى منطقـة بعيدة عن المنطقـة التى يعيش فيهـا الأب.. وسعت جـاهدة أن تحرم الأب من رؤيـة ابنـه، نعم بكل بسـاطـة.. دفعهـا تفكيرهـا العقيم.. أن تنتقم لفشلها فى حياتها الزوجيـة.. بأن تقطع كل صلة أو مشاهدة عابرة بين الابن وأبيه.. ومضت الأعوام.. حاول خلالها الأب مرارا أن يـرى ابنه أو يتصل به، وتدخل الأهل والأصـدقاء. ولكن كل المحاولات باءت بالفشل!

ولـلأسف.. الأم كانت لا تـذكر الأب.. إلا بأبشع الصـور والصفـات أمام الطفل.. ممـا أثـر فى مشاعـره وتفكيره تجاه أبيه، فأصبح يخاف منه.. ويكره أقرب الناس إليه.

وهكـذا.. إلى أن جـاء اليـوم.. الـذى لم تحسب هـذه الأم حسابه، جـاء اليوم الذى حق للوالـد أن يسترد ولده.. ويراه بالقـانون، بقـوة الشرع استطاع أن يضـم ابنه إلى رعـايته،

بالصورة التى تقدمت صورة الفراق الأليم..

ترى من هـو كبش الفداء فى هـذه المنازعـات؟ من سيدفع غاليا ثمن هذا الموقف؟ من سينام ليالى طويلة مذعورا خائفا؟ بين ليلـة وضحاهـا.. انتقل هذا الصغير إلى بيت غـريب، بيت أبيه! أفراد الأسرة الغـريبة الآن.. والذين يدخلـون الرعب إلى قلبه.. ما هم سوى أبيه وجـدته، وأعمامه وعماته! لعمرى لا يلام هذا الطفـل، لقد غرست أمه فى صـدره الصاف.. شوائب الخوف والحقـد والكراهيـة لأبيه، كيف لا يبكى ولا يفـزع؟ كيف لا يصرخ وينهـار؟ مـا ذنبه هـو حتى يجنى ثمار حقـد الكبـار؟وكيف لهذا الجسم النحيل.. أن يصبح كـرة فى ملعب خلافات الكبار؟ ومتى ستمحو الأيام هـذه الذكريات من هذه النفس الحساسة؟ ترى أى أثر ستتركه فيها؟!

إن هذه القصة من واقع الحياة.. وهى نتيجة الابتعاد عما أمرنا به ديننا الحنيف وشريعتنـا السمحة، فما أحرانا باتباع الهدى.. فى كل أمورنا، وما أحرانا بتحكيم العقل والضمير.. فى حل مشاكلنا.

● زهـــــــــرة ●

ما أقدر أن نحول نحن الكبار..

حياة أبنائنا..

إلى مسرح نحل فيه منازعاتنا!

امرأة هشة

يا قـدمى سـيرى.. سـيرى إليه كما اعتـدت.. احمليني إليه. خـذيني.. خـذيني اليوم عنـده، ولا تـخذليني. اليـوم فقط لا تخذليني. سأراه اليوم. سأراه كما لم أره من قبل.

سأتعـامل معـه.. كأنى لا أعـرفـه من قبل. سأدق بـابـه وأدخل.. شـاردة الذهن.. مبتـورة الإحساس.. هشـة. امرأة قـابلـة للكسر.. اليـوم سنجلس معـا كـالغـربـاء.. لننحـر العواطف.. ونغتال المشاعر!

عيناى اليـوم لن تلتقيا بعينيك، عيناى اليـوم.. ستبحثان عن بقاياى. وتخفيها فى زوايا النسيان!

يداى اليوم.. لن تلمسا يديك.

يـداى اليوم.. ستحمـلان حطامى لتلقيـا به فى مهمـلات الزمان!

أرشدنى.. كيف لى أن أنظر إلى عينيك.. ولا أضعف؟

ساعدنى.. كيف لى أن أشم رائحة تبغك.. ولا أنهار؟

أنقذنى.. كيف لى أن أودع أحلى أيـام العمر.. وأخرس كل ذرة فى داخلى.. تصرخ: أحبك.. أحبك.. ولا أقــدر ســوى أن أحبك؟

أخبرنى.. كيف بعــد هــذا ينطـق لســانى.. ويطــالبك بقصـائدى، وصورى؟ واشرح لى إن أنت أطعتنى.. ومـددت

يـدك بها.. كيف استلمها منك؟ وأين أضعهـا؟ وتـرى ما أنـا فاعلـة بها؟ ويلى.. ويلى.. كيف أحمل جثمانى؟ وكيف أواريه الثرى؟ كيف ينتهى كل شىء بيننا.. ويتم اغتيال كل ما كان.. ونمحو معالم جريمتنا فى حق النفس والذات؟!

لا لا.. يا قدمى انشلى.. انشلى.. لا تحملينى اليوم إليه.. ولا تأخـذينى عنده.. أخـذلينى.. أخذلينى اليـوم فقط.. يا عمـر توقف.. تـوقف. لا أريد هذ اليـوم.. كفانى العمر.. الـذى قد عشته.

أنا ما قـدمت له جسدا.. إنما قدمت لـه روحا.. فإن ذهبت اليـوم إليه.. هـل يعقل أن أسترجع روحا.. هى مـن أجله قـد خلقت؟!

محكمة الهوى

ووقفت فى قفص الاتهام امرأة.. تتحدى الجمال، وقفت .. بثوبها الأبيض الهفهاف.

ودخل قاضى الهوى، فصرخ الحاجب: محكمة!

فهب الجميع واقفين، ونظر القاضى إلى أوراقه، ومن ثم.. نظر إلى المتهمة.. وشعر بمسئولية القضية، وعبء الحكم فيها، وتمنى لو أنه يستطيع، أن يعفو عن هذه المرأة، ويصدر حكما ببراءتها، ويعيد لها حريتها، وينقذها من حبل مشنقة الهوى.

ولكن كيف السبيل لهذا؟ وهذا ما اختارته هى، وهى التى قدمت إلى المحكمة، واعترفت. وطلبت الحكم العادل.. ليرتاح قلبها بعد طول العناء!

قال قاضى الهوى: سيدتى.. أنت متهمة بالحب.. مع سبق الإصرار والترصد، وقد أثبت المدعى العام جريمة سفكك دمك قربانا للحب والوفاء، وشهد عليك شهود عيان.. باندفاعك وجنونك فى الهوى، وحينما حاول محامى الدفاع تبرئتك، أسكته قلبك الملهوف.. واعترف بفعله، ونفى أنه يشعر بالندم أو الأسى.

وبناء على ما تقدم .. من تهم تم إثباتها واعترافك بها، حكمت محكمة الهوى عليك يا سيدتى.. بالسجن المؤبد.. فى

عالم الهوى مع المعاناة الشاقة.. من الوصل والهناء، والهجر والجفاء. فصرخ جنون الحب فيها.. يحيا عدل قاضى الهوى!

● زهـــــــرة ●

الجنون فنون،

وأصعبه جنون الهوى!

حب مثلج

عزيزى القارىء المحب:

«فى كل مساء.. ضع مشاعـرك وعواطفك فى (فريزر)! وفى كل صباح.. حينما تريد استعمالها.. أخرجها مكعبات ثلجية.. صالحة للاستعمال»! هذه هى نصيحتى لك.. قارئى العزيز.. فى هذا الزمان.. زمن الحب المثلـج.. هذا النوع من الحب.. هو آخر صيحة.. فى عالم الحب، حب مثلج بارد لا روح فيه.. ولا حـرارة ولا أشـواق.. انس قصص قيس وليلى، عنتر وعبلـة، روميـو وجـولييت، انس كل هـذه القصص الـرومـانسيـة الخيالية.. وكن حبيبا على أحدث طريقة!

إظهـار عـواطفك، وإعـلانك عنهـا، تعبيرك عما يجول فى داخلك.. غلط! انـدفاعـك يعتبر وصمة عـار، «اتقل».. «اتقل» عـزيزى المحب، إن رأيت الحبيب.. فبـادره بسلام «كـالآيس كريم»! وحدثه بأحاديث مثلجة، تثلج عواطفه.. وتجعله يثقل مثلك.. إيـاك وأى كلمـة حب دافئـة، أو نظـرة حنـان معبرة، ستفسد كل خططك.. وتضيع هيبتك.. «التقل صنعة»!

اذا غاب عنك الحبيب. لخلاف بينكما.. حتـى لو كنت أنت المخطىء.. يجب أن تؤمن.. أنه هـو المخطىء لأنه غضب منك، وأنت لا أحد يغضب منك..

لـذا إياك.. أن تتصل بـه.. حينما يغيب عنك غاضبـا منك. احفظه فى قلبك.. وذلك بأن تثلجه كأى قطعة معلبات.. طبعا..

البرودة فى قلبك.. تحت الصفــر! لـذا سيظل هــذا الحبيب.. محتفظا بجميع خـواصه، صـالحا للاستعمال.. إذا عـاد هو واتصل بك.. لقد ودعته.. «بالله معك» فإن عاد.. أهلا وسهلا وإن لم يعد.. فالله معه.

حب مثلج.. هـذا ما أنصحك بـه.. الجليد والصقيع، هـذه العوامل الجوية.. هى مقومات جو قلوب هذا العصر.

عذرا.. عزيزى القارىء.. كدت أن أوقعك فى كارثة.. نسيت أمـرا مهما؛ إيـاك أن تتبع هـذا الأسلوب. فى بـدايـة تعـارفك بحبيبك.. وإلا لن يقع أحد.. فى فخ حبك المثلج.. هـذا الأسلوب فى نهايـة المشوار.. أمـا فى البدايـة.. عليك يا سيـد المحبين أن تنتهج مسلك الأسـلاف الرومـانسيين، ومع كل نظـرة بيت شعر.. مع كل تنهيدة بـاقة ورد.. ولا تنس أن تحدد موعدا.. لـلاتصـال بالحبيب، فتجعل بينك وبينـه.. أشيـاء صغيرة.. خاصة.. ولذيذة، تغريـه بها فى بداية المشوار.. إلى أن تتصدر فى صميم قلبـه.. إياك.. ثم إيـاك.. أن تذكـر أن هذه الأمـور، روتين يقيدك.. وأنت ما اعتدت القيود، هذه التصريحات دعها فيما بعد.. حينما تتوطد العـلاقة ويسرى حبك فى قلبه، وتبدأ أنت تشعر بالملل.. وتريـد أن تتملص من هذا الحب، لتبدأ حبا جديدا ومغامرة جديدة، عليك بكل ذوق ولباقة أن تحول حبك المتـوهج.. إلى حب مثلج بـالتــدريج. طبعـا أنـا أضمن لك.. انسحــاب الطـرف الآخــر فى حيــاتك.. مهما عظم حبك فى صدره.. دون أى إحراج لك.. لأنه لا شىء يؤلم ويوقظ كرامة المحب المخلص، مثل التعـامل المفـاجـىء، مع حب مثلج.. من حبيب حسبه يـوما من الأيام حبيبا مخلصـا.. فإذا به حبيب

لاه.. هوايته اللعب فى القلوب..

كذلك أضمن لك.. أنه لن يجد تهمة يوجهها لك.. فأنت تدفعه هو إلى الانسحاب.. بطريقة دبلوماسية مهذبة.. وحبك البارد الهادىء هذا.. حلله له بأنك حبيب رزين لست مراهقا.. تحب حبيبك وتحفظه معك فى قلبك.. إن حضر أو غاب عنك.

ما أصعب أن نسخر ونهزأ من آلامنا.. ترى فى «فريزر» قلبك الضخم.. كم من حبيب مثلج.. موضوع فى قوالب ثلجية.. فوق رفوف قلبك المنظمة؟!

عزيزى القارىء..

إن كنت من هؤلاء.. الذين يستهوون اللعب بمشاعر الآخرين.. ويستخفون بعواطفهم.. وإن كان قلبك له عيارات حرارية.. بإمكانك تحويلها حسبما تشاء.. وفى الوقت الذى تشاء، من درجة حرارة مرتفعة.. إلى درجة برودة منخفضة.. فهذه النصيحة.. مناسبة جدا لك.. طبعا الله يكون فى عون من يقدر له.. أن يكون ضحية حبك المثلج.

ولو أنه بعد مرور التجربة.. بكل ما تحمله من ذكريات فرح كاذب.. وأحلام واهية.. وآلام مبرحة من قسوة الصدمة.. بعد وضوح الرؤية لهذا الحبيب المخدوع بك.. وظهورك أمامه بصورتك الحقيقية.. لن يندم أبدا عليك.. ولا على حبك المثلج.. لأنه سيدرك.. أن سيولة الحب المثلج.. هى السيولة المطروحة الوحيدة، والمتداولة بشكل واسع.. فى عالم حب هذا الزمن الردىء!

ويظل سلام وحرب حبك الجبار..

مهيمنين على كل نبضة..

من نبضات هذا القلب الجريح فى هواك..

رغم زلازل براكين غضبى..

وسخطى عليك!

دائرة المعارف المتنقلة

أمسك بورقة الامتحان بين يديه، وبدأ يقرأ الأسئلة ببطء وتمعن، وقلبه مازال بين ضلوعه يخفق بقوة، ويداه ترتجفان بشدة.

عجباً.. ما باله خائفا مرتبكا مذعورا، بالرغم من أنه تلميذ ذكى مجتهد.. والأول على فصله. تبا لهذه الامتحانات.. محال أن تقهر رهبتها.. مهما كان الطالب مجتهداً.. واثقا فى نفسه! رهبة الامتحانات.. لاتقرؤها فى وجوه الطلبة الكسالى فحسب، بل إنها تكون واضحة أكثر.. فى عيون المتفوقين والأوائل! فالقلق والخوف.. يستفحلان فى قلوب الطلبة المجتهدين.. أكثر بكثير من الطلبة الآخرين، لأن هؤلاء يرفضون بديلا لدرجات الامتياز، الواحد منهم ينهار إذا ما أخطأ فى جملة، أو إذا نسى كلمة، فهذا يعنى فرصة لمنافس له.. كى يتفوق عليه!

منذ المرحلة الابتدائية، اعتاد أن يكون دائما فى الطليعة كان يحفظ الدروس قبل أن يشرحها المدرس، إجازة الصيف بالنسبة له، تعنى دراسة وحفظ المنهج الدراسى للعام المقبل!

أسئلة الامتحان هذه.. قد تكون بالنسبة لغيره من الطلبة.. على مستوى الصعوبة والتعجيز، أما هو.. فيعرف الإجابة عن كل سؤال، حرفيا حسب المنهج، وسوف يضيف كذلك معلومات فى إجابته من خارج المنهج، لقد قرأ كتباً كثيرة،

حتى أن أصدقاءه أصبحوا يلقبونه: «دائرة المعارف المتنقلة»! لذا لن يتردد فى إثبات تفوقه ومعرفته.

هـذه اختبارات شهـادة الثـانويـة العـامـة، إن شاء اللـه سيكون الأول على جميع الطلبة.. كما يتوقع له جميع زملائه، ومدرسيه ووالديه.. وتذكر والديه.. وفجأة.. رأى أمام عينيه صورا من طفـولته، كان والداه يقـومان بتدريسه ومتـابعته باستمرار.. والده كان يجلس معه ساعات طويلة.. يحفظه كل دروســه، إضـافـة إلى كثير من المعلـومـات والثقـافـة التى يستهـويها، فما أن بلغ العـاشرة مـن عمـره، حتى أصبحت ثقافته تعادل ثقافة شاب فى العشرين من عمره، صحيح العلم نـور والمعرفـة والثقافـة ثروة لاتفنى.. لكنـه دائما فى حالـة اضطراب.. وقلق وذعر.. بالرغم من تفوقه.. لأنه كان يدرس ويتعلم بدافـع من الرهبة.. وليـس بدافع من الـرغبة.. نعم.. حينما كـان فى المرحلة الابتـدائية.. الـويل له لـو يومـا أهمل درسـا.. أو واجبـا.. العصا كـانت وسيلة المخـاطبة معـه، كل مكـان فى جسده النحيل.. ذاق آلامهـا! لايـذكـر فى طفولتـه.. سوى الكتـاب أو العصـا! طبعا.. كان يختـار الكتاب، صحيح أنه كـان يشعر بصداع شديـد.. من كثرة القراءة والمطـالعة، لكن الصداع أرحم من قسوة العصا.

وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية، تغيرت الأحوال فى بيتهم، وأتت عليهم فـترة زمـنية.. عـرف فيما بعد أنها تدعى بـ «الطفـرة».. والده أصبـح كثير السفر، عملـه هـو محور حياتـه.. والصفقات التجارية.. والسهـرات مع «الخواجات» هى شغلـه الشاغل، أمـا أمه.. فما عـادت تلاحقـه بصراخها

وتهديداتها صديقاتها ومجتمعها المخملى.. وآخر صيحات الموضة، هذه الأمور فقط.. أصبحت هى كل اهتماماتها!

أما هو، فقد أحضر له والده.. بدل المدرس الخصوصى ثلاثة مدرسين.. بالرغم من أنه لم يكن بحاجة لمساعداتهم.. فقد كان نجيبا مجتهداً.. «من شب على شىء شاب عليه»، لكن الدروس الخصوصية موضة تلك الفترة.. بصرف النظر ان كان التلميذ مجتهداً.. أو كسولا! فلكل زمن تقاليده وتقليعاته، «السيارة المرسيدس ٥٠٠» بالهاتف، «والمدرس الخاص»، علامة مميزة.. لطالب الطفرة، هوة عميقة ظهرت فى حياته من شدة الحالين، من قسوة إلى دلع.. من اهتمام إلى إهمال، فانطوى على ذاته.. حائراً.. فقد كان ذكاؤه مكبلا.. فى زنزانة سيطرة والديه.. وفى الفترة الأخيرة.. تبدل حال الأسرة.. وبدأ يسمع بمسمى جديد، لفترة زمنية جديدة تدعى «النكسة الاقتصادية» كان والده يصيح به: «اسمع أريدك أن تحمل أعلى الشهادات.. لا مال ينفع ولا اسم عائلة يرفع.. لاشىء سوى العلم هو الذى يرفع».

شعر وهو جالس وبين يديه ورقة الامتحان.. إنه لايستطيع أن يتنفس، شىء ما يخنقه، وغصة قوية فى صدره. لأول مرة.. يشعر بالتمرد والعصيان يهزان كيانه.. قفز واقفا.. وقدم ورقة الإجابة التى لاتحمل سوى اسمه ورقم جلوسه.. وقدمها للمراقب.. وخرج من القاعة مسرعا.. ووقف فى الشارع.. وأغمض عينيه.. وبدأ يستنشق الهواء ببطء وهدوء.. وشعر أن ثورته بدأت تنطفى، اليوم شعر أنه إنسان له كيان، لقد سلبه والداه حرية تفكيره.. كان بمثابة

جهاز يعمل بريموت كونترول.. يوجهانه حسب مشيئتهما، العلم والدراسة بالنسبة له.. كابوس فى الليل وهاجس فى النهار!

«إن كبر ابنك خاويه»! لقد كبر ونضج.. ولكنه مازال فى عيونهما طفلا.. يحركانه ويقرران كل شىء له.. لكن نتيجة هذه الاختبارات.. ستكون مؤشرا خطرا ومنبها لهما.. إنه أصبح رجلا ولم يعد طفلا.. همومهما أو أفراحهما محال أن تنعكس دائما عليه.. هو أيضا له أفراحه وأحزانه الخاصة به وله قراراته. بؤرة التوتر والقلق سينقذ نفسه منها.. وسيشعر والداه بمعاناته، ولابد انهما سيتراجعان عن أسلوبهما معه. الآن هو الذى سيمسك «بريموت كونترول» حياته، فى العام المقبل سيدخل الامتحان.. دون أن يخفق قلبه.. أو ترتعش يداه.. حقا لقد دفع ثمنا غاليا، دفع عاما من عمره ليوقظ والديه ويشعرهما بحقوقه، لكنه سيكمل مشواره إن شاء الله.. بثقة وأمان بلا خوف.. بلا قلق

● زهـــــــرة ●

العلم متعة نفسية.. وليس عقدة نفسية!

ما هناك من جديد

«ماهناك من جديد».. وأوصدت فى وجهى أبواب الحديث، حتى الحديث أصبح بيننا مكبلا، لاجديد فيه.. لأنك لاتريد أن يكون فيه جديد.

عجبى يادنيا، فى السابق.. كان الحديث بين شفاهنا يلهث.. لكثرة ما فى داخلنا من أحاديث وحكايات، واليوم.. يأتينى صوتك مخنوقاً.. متجمد العبارات.. قاسى اللهجة جاف الكلمات مبتورا من الإحساس: «ماهناك من جديد»!

من قال إنى أريد منك جديداً، إنى لااحتاج أن تخبرنى عن أى جديد، لأنى أستطيع أن أراك، أرى الجديد الذى لديك.. دون مساعدتك، انى أراك أنت بصورتك الجديدة، بوجهك الصادق، بواقعك الحقيقى.. الآن أشعر.. وكأنى أقف فى مختبر التحاليل، والتجارب.. واشعر كأنى أحد أطباء علم الأحياء، أطبق عليك تجاربى، أنقب فى داخلك عن تأثير هذا المصل العجيب، الذى يكشف واقع الحقائق المخيفة فى المخلوق الحى، هذا المصل العجيب هو الزمن! الزمن بقوته وعظمته وجبروته، أحقنك إياه فى وريدك.. فيكشف واقعك.. يكشف لى صورتك الجديدة.. دون جهد منى أو أعتراف منك.

فى بداية مشوارى معك.. أعمتنى حاجتى للحنان، وضللنى شوقى للأمان، فمشيت معك فى درب مرصوف

بالخداع، مزروع بالكذب والأوهام، وأنا أحسبه دربا للحنان والأمان.

غرست جذوري ونثرت بذوري.. في تربتك الجافة الجرداء، فحولتها بصبري وبعطائي.. من أرض بور إلى حدائق غناء، ونبت زرعي في أرضك شامخا.. يناطح السحاب، وتفتح زهري غشقة عطر.. تفوح رائحتها في كل مكان، ومن سوء حظي.. أنني ما ظننت أبداً أنه حينما ستثمر أشجاري، لن أجني أنا ثمار شجري، بل غيري هو الذي سيجلس.. ويتربع فوق عرشي ويهنأ تحت ظل عرائشي، ويقطف من ثماري!

صحيح، صحيح أنني منذ الوهلة الأولى أدركت.. أن وحش رفض الحب فيك يصعب ترويضه، يصعب تعليمه كيف يعطي كما يأخذ! ولكني بعناد المحب أنكرت على نفسي ظنونها، وكذبت عقلي في حكمته واندفعت أقتل اتزاني، أخرس عقلي، أطيع تهور قلبي المجنون، وانطلق حبي لك.. هادئا كنسمة الصيف في حياتك العاصفة.. وطربت وانتشيت سعادة، وأنا أرى وحش الرفض فيك يهدأ، ويألف حنيني، ويعتاد ويستسلم لحبي.. كيف انخدعت وسلمتك قلبي.. وفتحت لك أبواب حصوني.. وأدخلتك قلاعي.. فاحتللت كل بروجي.. لا أدري.. لا أدري.

يوم ذاك طوقت عنقي بحبك.. فإذا به عقد دانات لؤلؤ.. يزين جيدي.. وينعكس نوره على وجهي، فيجذب سحر

بريقه، كل من حولي، وارتديت هواك أقراط زمرد.. تتدلى من أذني فتلمع خضرة لونه الصافية.. فأتباهى به وبغلاء ثمنه.. وتوجت رأسي بشوقك.. تاج ياقوت أحمر كدم الحمام في لونه.. فملكت الدنيا حينما به تكللت..

يوم ذاك.. امنت أن حلي العالم جميعها زهيدة الأثمان.. إذا ما قورنت بحلي الحب والهوى والأشواق.. وذلك لأصالتها وندرة نوعيتها.

لم أتصور أنه سيأتي يوم، وتمتد يدك وتقطع عقدي.. وتسحق أقراطي وتحطم تاجي، وهكذا خنقت بقبضة يديك روح الحب في قلبي.. وطعنت الثقة في من وهبته عمري.. واكتشفت بعد أن قضي الأمر، أني كنت واهمة.. حينما اعتقدت أني روضت وحش الحب والإخلاص فيك! بل الحقيقة أنك أنت من روضتني على الهجر، على الجفاء، على النسيان، أنت من علمتني!

وكما سعدت في الماضي معك، وأنا مخدوعة بوجهك المزيف، أسعد الآن أكثر، وأنا أراقبك.. وأراقب نتائج مصل الزمن، ولا أشعر بخيبة أمل بواقعك المفجع، فالزمن كفيل بتوضيح الرؤيا لكل شيء دون جهد أو عناء، هذا أنت.. وليس بمقدورك أن تكون سوى ما أنت عليه، تمزق قناع التمثيل، الزمن دار عليه فأبلاه.. وظهرت من ورائه كما أنت.. بلا زيف بلا خداع!

يا أيها الضائع في المجون، أنت توصد أبواب الحديث في

وجهى وتقـول: «مـاهناك من جـديـد» وأنا أوصـد أبـوابى جميعها فى وجهك، أمزق رسمك، أمحو اسمك، أكره ذكرك!

● زهـــــــــرة ●

معك.. كنت زهرة بلا أشواك، وبدونك..

أصبحت أشواكا بلا زهرة!

وعدت إلى عرين هواك

أتيتك.. تتنازعني نوبات خوف مدمر! أراك توصد أبواب قلبك.. دون أن تسمعني؟ أم تـراك بقلبك الكبير ستحتـويني وتفهمني؟ أتراك تعاقبني عن غلطـة والله بها ما قصدتك؟ أم تراك ستصدق كل كلمة مني كما عهدتك؟

أتيتك.. وفى أعماقـى صخب وضجيج، وكـل عـــزائمى وقدراتي فى الثبات.. بعيدة عنك وأنت غاضب مني، قد هزمها حبك الجبار المتأصل فى أعماقي، أتيتك سـائلة الله.. أن تسمع مرافعتي قبل أن تحكم بإدانتي!

أتيتك جثـة هامدة.. لاتجد مـن يواريها فى الثـرى، راجية بحق مـا بيننـا.. إن حكمت بإدانتي، وهدرت بـالهجـر دمى، رجائي.. بيديك أنت فى قبر الهوى أن تدفنني.

الله.. الله يـا زمن ما أقساك، اليوم أقف عنـد باب الحبيب أتسـول الحب، أتسـول السماح كأى عابـر سبيل، انتظـرت قدومك كورقة خـريف.. فى مهب الريح ذابلة، ووقفت أمامك كطفلة يتيمـة.. مما تخبـىء لها أيامها خـائفة، وجـع الفراق يمزق أيامى، ييتم آمالى، يطفىء بريق النور فى عيونى، شجن الهجر.. يعصف بأفكارى، يـزهدنى فى أحلامى، يشعل سعير الحرمان بين ضلوعى!

وبين شفتي سؤال حـائر: هل هناك من وسيط خير بيني

وبينك؟ هل هناك من شاهد عدل ينصفنى بكلمة حق عندك؟ هل بجانبك من يقول لك: دعك، دعك من كل مايقال، إن الحب الذى لك فى قلبها ضرب من ضروب المحال!

واقبلت على، فإذا بك جاف غاضب، حتى النظرة استكثرتها على، وبادرتك بالاعتذار.. وأقسمت لك.. أن حبى لك فوق كل هذا القيل والقال، فوق كل الظن والشبهات، لست أنا ولاغيرى من يحكم، بل أنت وحدك من تحكم على مدى لهفتى.. شوقى وانتمائى وخضوعى إليك، إن أردت أن تهجر.. لأن لامكان لى فى حياتك وقلبك، فافعل إن هذا يرضيك، ولكن.. إياك أن تهجر.. بسبب خطأ منى فى حقك غير مقصود.. فتعادينى مع نفسى بقية عمرى، بقية الأيام.

حبيبى.. هل تنمو الأجنة خارج أرحام أمهاتها؟ هل تحلق النسور عاليا لولا قوة أجنحتها؟

فكيف أحيا ياعمرى خارج عرين هواك؟ إنى أعتذر.. إنى أعتذر.

ولمست يداى يديك، وقرأت الغفران فى عينيك يالهفى، يالهفى منك وعليك. كيف يمكنك أن توقف نبضى خوفا منك.. بنظرة واحدة؟! كيف يمكنك أن تذيب صقيع وحشة الفراق.. بلمسة واحدة؟! ومن ثم كيف تنطق جوارحى.. ويرقص قلمى.. فرحا ببسمة واحدة؟!

وابتلع زلزال التفاهم بيننا جبال غضبك، وعدت إلى عرين هواك، وعدت إلى عرين هواك.. وأنا أضحك من نفسى، كيف

أعود؟ هـــل خرجت أصــلا أنا من هذا العـرين.. حتى أعود إليـه؟ هل نخرج من نفـوسنا؟ هل نخلع جلـدنا؟ هل ننتـزع أحشاءنا؟ أنا لم أخـرج من عرين هواك، فكيف إذن أدعى أنى عدت إليه؟

وقمت.. وأشعلت قناديل الأمل فى سمائى، وفتحت نـوافذ الحب.. لتـدخل النور من جـديـد.. إلى أيام حيـاتى؟ وضعت رأسك بين ضلوعى.. يا كل اهتماماتى.

يا فىء عمرى إنى استظل بك.. فهل تقبل أن تظللنى ؟

يــا راوى أيــامى.. إنى أستروى منك.. فهل تــرضـى أن تروينى؟

يا مـورد عواطفـى، يامبدع فكـرى، عدت لى وعـدت لك، فعادت الأنغام ترقص فى عيـونى، والفرح يغنى فوق شفتى، وعاد سلسبيل ماء العشق.. يروى حقول عواطفى وفكرى.

ووزعت على نجـوم السماء.. «شربات» عـرس رجـوعى فألبسنى القمر اكليلى، وسطعت الشمس من عتمة الليل مهللة لأفـراحى، اجتمعت الشمس والقمر والنجـوم فى الليل. فى آن واحـد، فحولـوا ظلامــه نـورا، حولـوا الليل نهارا، اجتمعت جميعها فى وقت واحد.. لتحتفل بعودتك لى يا حياتى.

وأقبل الفجر علينا.. يهمس موشـوشا، وطارت العصافير تـزغرد.. تـزف للكـون بشرى لقائنـا، والـريح حملت طيب حرارة عناقنا فى طياتها.. فبعثته للعالم نسيما عليلا.

وأخيرا.. أغمضت عيـونى هـادئة مطمئنة.. بعـد أن عـاد الحب الكبير إلى مجراه.. ياحياتى.

● زهـــــــرة ●

واللـــه.. لم تظلم الـدنيـا قط فى عينى، مثلما أظلمت.. يـوم شعرت.. أنك غاضب علىّ!

موعد بعد لقاء

جمال المغامـرة.. أن نعرف متى نبـدأ، ومتى نجرؤ.. على التوغل فى الأعماق.. ومتى نتوقف!

التعـارف مع الآخرين.. ودون سـابق معرفـة.. مغامـرة جريئـة.. خاصة حينما نـريد أن نكون فى الخفـاء.. ونفرض وجودنـا ونحن فى الخفاء.. هنـا تظهر المقـدرة.. فى أن نحقق التواجـد الذاتي.. ونتحسس.. مدى تجاوب الآخـرين معنا.. مع مجهول.

سألها فى اللقاء من هى؟ من تكون؟ هل هذا ماتصبو إليه؟ لو أرادت أن تقدم له الإجابة.. لما انتظرت أصلا هذا السؤال.

التعـارف الحقيقى.. لابـد أن يكسر كل القيـود.. وأولها الألقـاب والأسماء، والتعارف الخفى عبر الأفكـار، يبـدأ من الأعماق وينتهى كـذلك فى الأعماق، ويبقـى دفينـاً فى النفس، يحتفظ بجماله وأسراره، الـزمن لايحدد قوة الترابط وتـآلف الأفكـار، والانقطـاع.. لايعنى محو الـذكرى والنسيـان، فـالاستمـراريـة.. ليست مقيـاسـا للتفـاهم والتجـاوب، والاختفاء.. ليس عـلامة عـدم الانسجام وانعـدام المودة، قد نستمر.. مع من لايربط بيننا وبينهم سوى شكليات وقضاء وأقـدار، ونبتعـد عمن نشـاركهم أجمل الأفكـار ونتجـاوب معهم.. ونحن تفصل بيننـا وبينهم أميال وأميـال.. دعك من الاستفسار عنى.. والتساؤل من أكون!!

ودعنى أنهل من ثقافتك.. وأفكـارك وعلمك، وأرتوى، فلا جفـاف كجفاف جـداول الفكـر، ولانبع ينضب.. كما ينضب نبع الإحساس بالوجود!

حياتنا صـحراء قاحلة، يحرقنا لهيب ريحها الحار، ووهج شمسها المحـرقة، فلنشـد الرحـال معا.. من واحـة فكر.. إلى واحة علم.

إنى أدعوك للترحال معى.. ولابد ولو بعد حين وإن طال.. لابد أن يأتيك الجواب.. وتكتشف من أعماقى من أكون! ولكن بعد أن أكون قد أصبحت كما تريـد أنت، أما الآن فلا تكثر فى السؤال.. ولا تطالب لابرمز الاسم ولا العنوان.

أخـاف.. أخاف إن عـرفتنى الآن أن تفقدنى قبل أن نبـدأ الترحال معا.

● زهـــــــــرة ●

أخرس لسانى.. ولاتخرس قلمى، إد نفسى..
ولا تئد فكرى!

يا امرأة تجددى

يا امرأة تجددى.. ضقت ذرعا بقـديمك المتكرر، بأفكارك البـاليـــة، ضقت ذرعـا بتصرفـاتك السـاذجـة.. وبشكلك الروتينى.

يا امرأة تجددى، لقد حققت لك.. كل ماتصبو له المرأة من أحلام، وهبتك كل ماتـرغبين، هيأت لك كل ما تحتاجين، علك تفـرغين لـذاتك، علك تـدركين قبل فـوات الأوان، إنى رجل.. يطـالبك أن تتطـورى مع الأيام، وأن تتماشى مـع خطواتـه، الفكرية والعاطفية والاجتماعية، قتلنى إهمالك لذاتك، خمسة عشر عـامـاً.. حـاولت خـلالها تغيير دفـة أسلـوب تفكيرك.. وسطحيـة أحلامك، ولكنى عجـزت.. أن أجعلك تشـاركيننى أهـداف وطمـوحـاتى. بعـد زواجنـا.. حصلت على درجـة الماجستير ومن ثم الدكتوراه.. وأنت مازلت كما أنت! حاولت أن تتعلمى اللغة الانكليزية.. ولكنك اكتفيت ببعض العبارات.. لتسهيل التفـاهم بينك وبين الباعـة فى المدن الغـربية! عـداوة ظاهـرة بينك وبين العلم والفكـر.. تحاولين إخفاءها بـأعذار واهية.. كلما طالبتك بـالالتحاق بمنهج علمى، دائما تختلقين الأعـذار.. لتظلى قـابعـة.. كما أنت تغلفك بعض القشـور من المظاهر الاجتماعية، امرأة بلا طموح، بلا كيان، هذا ما اخترته لذاتك!

ومرت أيامنا معا.. واندفعت أشق طريقى العلمى والعملى واستطعت أن أحقق طموحاتى.. وأصبحت من رجال الأعمال المرموقين، تمنيتك أن تشاركينى أحلامى ونجاحى، ولكن همك كله.. كان منصبا على تفاهات القيل والقال وتجمعات صديقاتك، لمقارنة من منكن ملابسها ومجوهراتها أثمن! وأين تقضى الإجازة! وطبعاً.. كلما اتسعت المسافة.. وبهظت المصاريف.. تشعر الواحدة منكن بالعز والفخر، السفر لكن عبارة عن فندق درجة أولى، مطاعم فاخرة، ومشتريات باهظة الثمن، أما أى اهتمام ثقافى فكرى.. فهذا أمر غير وارد!

يا امرأة تجددى، لم أرك يوما تحملين كتابا تقرئينه، اللهم إلا بعض المجلات تتابعين فيها آخر صيحات وجنون الموضة، وتختارين أبشعها، من ثم تناقشيننى ساعات لإقناعى بذوقك الرفيع.

لم أرك يوما تتابعين برنامجا ثقافيا.. إلا برنامج الأسرة السعيدة.. الذى استطاع أن يحول الأسرة السعيدة، إلى أسرة تعيسة.. لعدم الدراية بواقع الأسرة.

يا امرأة تجددى، تطورى، تثقفى، هل أقولها لك المرة الألف بعد المليون؟ لا لن أكرر طلبى هذا، فات الأوان.. كبرت الهوة بينى وبينك.. وأصبح من المحال أن نتفاهم.. أو تتقابل أفكارنا، هكذا أنت.. ولن تتغيرى.. «الطبع يغلب التطبع»!

جلس مجهداً ثم أضاف: لقد اعتزمت امراً هاماً، هل لك أن تجلسى وتسمعينى؟ لم تنظر إليه.. وتابعت خطواتها

متوجهة إلى غـرفتها: غدا نتحدث، عليّ أن أستعـد للذهاب إلى العشاء عند (.....).

قاطعها زاجرا: اجلسى واسمعينى الآن، واذهبى بعد ذلك حيث تشائين.. لقد قررت أن أتزوج!!

ارتمت على كرسى.. وهى تصرخ باكيـة: ماذا..؟! تتزوج؟ وأنـا وأولادى.. تريـد أن تخرجنى من بيتى.. وتحرمنى من أولادى.. وتحضر امرأة أخرى فى بيتى؟!

قـال بحـزم: البيت بيتك، وأولادك معك، وكل طلبـاتك سألبيها لك، ولك الحرية الكاملة فى تحديد مستقبلك!

قالت: وهى تمسح دموعها.. وقد عاد اللون إلى وجهها:

أريدك أن تسجل ملكيـة البيت باسمى.. وترتب لنـا مبلغا شهريا.. ومبلغاً سنويا للإجازة و..

هب واقفا.. وهو يشعر بحالـة شديدة من الغثيان: حاضر كل طلباتك منفذة.

وخـرج.. وهـو يتخيل الحملـة التى ستقـام ضـده، بعـد العشرة تركها لأنه أصبـح ميسور الحال، سيكون مضغة فى أفواه مهنتهـا أكل لحم الميت، ولكن لن يهمـه أى شىء، امرأة جـوفـاء مثل هـذه المرأة، لم تسألـه ولم تهتم إلا بـالبيت والأولاد، أما هـو.. فلم يكن يعنى لها سوى ممـون لطلباتها، امرأة كالطبلـة.. تسمع صوتها يدوى من كثـرة الفراغ الذى فى داخلها.. كيف يستمر معها؟!

● زهـــــــرة ●

العشرة فى الحيـاة الــزوجيـة.. أســاسهـا ليس المشـــاركـة الجسدية.. إنما هى المشاركة الروحية والفكرية!

بطاقة معايدة

حبيبى...

كيف أهـديك هذه البطـاقة؟ كيف أقـول لك فيها كل عـام وأنت بخير؟ كيف نتبادل البطاقات كالغرباء؟!

كيف يأتى العيــد.. ولاتجمعنــا سماء واحــدة.. كيف لا أستقبلك فى صباح العيد.. ولا أكـون أنا أول من ترى؟! وأول المهنئين.. كيف وكيف وكيـف؟ والجواب: إنى بعيــدة عنك.. بعيدة عن سماء وأرض الوطن.

أى عيد هذا؟

هل أنت يــا عيـد فـرحــة للنفس.. أم تعـذيـب ووقـود لشجونى؟!

النبض فى عروقى أخـرس.. الحروف فى كلماتى ضائعة.. وأنا أنظـر إلى اشيائى.. وأنــا أرتدى فساتينــى.. أتساءل: من سيمتدحها.. وأنا أستحم بعطرى أتساءل: من سيلبى دعوته؟

اعتدت عليك.. اعتـدت على حنانك وقســوتك.. اعتدت على كل مافيك ومنك.. عظيم وتافه.. كبير وصغير.. اعتدت عليك.. وما عاد لى فى أمرى مخرج منك.. ولاحيلة!!

أعذرنى.. بطاقــة معايدتى حزينــة.. فقد عصتنى الكلمة.. وخاننى القلم وتمرد.. فصب جراحى على الورق!!

تمنيت أن أكتبها لك وأنا أبتسم.. وأدارى شوقى.. وأصبر

على لهفتى.. فأرسل لك حروفا مشرقة.. يكللها الفرح والهوى!!!

تمنيت أن أضمك.. وأبعث لك باقة حب.. وردها من كل بحر عشق.. بلا آهات.. ولا شكوى.. ولا ألم!!

تمنيت أن أكون مثلك.. ولو مرة واحدة.. أغلف الشوق والحنين وأداريه.. أعذرنى.. بطاقتى بيضاء.. هربت من فوقها كلمات التهنئة الرقيقة.. وبقيت الدموع.. ولوعة الشوق.. قبل الوداع!!

أبعث إليك قلبى.. وفكرى وإحساسى ليهنئوك بالعيد.. واستأذنك حبيبى.. أن آخذ فى سفرى هذا فقط.. الجسد يا أعز مخلوق نقش اسمه فى قلبى.. وقلبه على.. ياشقوتى أقسى من الحجر!!

ألم الاعتياد

الاحتفال بالمناسبات.. الاعتياد على مواعيد محددة عملية يجب مراجعة التفكير فيها.. أكره أن ألتزم بموعد محدد.. وأكره أن أحتفل بذكرى مناسبة ما. هذا لايعنى أنه ليس لى انتماء.. أو جذورى.. تقيدنى بالأحداث.. التى تمر بى فى الحياة.

فهذا المبدأ فى الرفض، نحمى به النفس من غدر الزمان.. من قسوة الأحداث.. فهناك مناسبة قد تكون أدخلت فى الماضى إلى حياتنا.. كل السعادة والهناء.. ولكن مع مرور الأيام.. يختلف الشعور والإحساس تجاه هذه المناسبة.. ويأتى موعد الاحتفال بها.. وقد أمسينا بسبب هذا الحدث.. الذى حسبناه فى ما مضى مدخلا لعالم الهناء.. من أشقى الأشقياء.. فى هذه الحالة.. كيف نجبر النفس.. ونخضعها بالاستمرار فى احتفال غدا عبئاً.. ونتمنى أن نمحوه من حياتنا؟ أليس من الأفضل.. ومن البداية أن نبتعد عن إحياء الذكرى.. والاحتفال بها.. ولانندفع وراء العواطف والانفعالات؟

لكل الأحداث تطوراتها.. فلنتجاوب معها فى حينها.. حسب تطورها من سعادة أو شقاء..

وهذا الموعد المحدد بينى وبينك.. أشعر به وتشعر به.. كالمنبه الرنان.. يشدنا معاً إلى مافوق السحاب.. إلى كل عالم

حالم.. غريب فتان.. أنا شخصياً أخاف أن أعتاده.. أخاف إن فقدته.. عشت فى عالم من الفراغ.. والحرمان.. فيلذعنى الحنين والشوق له.. وأفقد التمييز بين الخطأ والصواب..

حياة أبراج الخيال جميلة.. ولكنها واهية.. حياة خنادق الواقع قاسية.. ولكن هى الباقية..

لن أقيد النفس بموعد محدد اعتاده.. فأنا لا أثق بما تحمل لى الأيام.. ولا أجرؤ أن أغامر.. وأعرض النفس لألم الاعتياد.

هذه أفكارى.. وبما أنها نابعة منى.. فهى فى نظرى حكمة ومنتهى الذكاء.. ولكن أصدقك القول.. لو أنها خرجت منك أنت. لما ترددت أبداً. أن أصرخ فى وجهك!

الحب القديم

وأتانى سؤاله مباغتا فكرى.. متحديا تجاهلى.. مداهما صبرى.. أتانى سؤاله يجبرنى أن أقف وأفكر فى أمر.. ما تمنيت أبدا فيه أن أفكر.

يسألنى: هل بالإمكان إحياء حب قديم؟

هل بالإمكان أن نسامح.. نصفح عن جرح أليم، ونبدأ من جديد.. مع حب أصيل.. فى أعماقنا حجبه الزمان.. ولكنه بقى فى داخلنا كحجر الأساس؟!

جفت الكلمات فى حلقى.. لم أستطع أن أجيبه فورا .. لأنى أحتاج أن أفكر قبل أن أجيب.. وخفت من التفكير ومواجهة الموقف.

وسكن فىّ التفكير .. وصمت فىّ الإحساس.. وشعرت أن مايدور فى داخلى هو الهدوء الذى يسبق العاصفة.. وهو السلام الذى يسبق الثورة.. أتانى سؤاله كالسكين .. الذى ينكأ الجرح.. فيعيد تدفق النزيف.. جرح بقيت زمناً طويلا أعالجه.. إلى أن غلفت سطحه بقشرة واهية.. وفى لحظة واحدة.. أتى سؤاله فشرخ الجرح.. وأعاد نزيفه بغزارة شديدة.. لا أدرى لم استبعدت هذا الموقف عن ذهني.. طوال هذه الأعوام.. هل لأحفظ نفسي.. من هاجس أمل كاذب؟ هل خفت أن أتعلق بالفكرة.. فأظل أنتظر حدوثها.. وأخطط

وأرسم وأفكر كيف سيعود ومتى وأين؟ ترى ما هى ردة فعلى أنا؟ كيف أستقبل عودته؟، وكيف أستوعب توبته؟ هل سأرفضه وأنتقم منه.. وأصرخ فى وجهه: عد.. عد.. من حيث أتيت.. لا أنا لك ولا أنت لى؟!

وبتدفق هذه الأفكار أدركت.. أن جراحنا محال أن تشفى.. إذا لم نعالجها من أعماقها!

وفتحت جراحى.. وطرحت كل ما فى جوفى.. من صديد ومعاناة.. هل بالإمكان أن ننسى الغدر؟ هل نغفر القسوة؟ هل إذا عاد.. لا تحاصرنى الشكوك والريبة.. فى كل لحظة.. فى كل تصرف منه؟!

من يظلم مرة لابد وأن يعيد الكرة!.. من يهجر بلا سبب .. يصبح الهجر عادة فيه.. وألم الفراق فى المرة الثانية.. سيكون مضاعفا.. واللوعة أشد قسوة ومرارة.. والحسرة فيه لاتفوقها حسرة..

وعاد صوته يكرر السؤال.. ونظرت إلى عينيه وأجبت:

ـ لا يلدغ حبيب من خداع حبيبه مرتين.. لا يمكن أن نعيد الثقة لمن قتل الثقة.. واغتصب الحب فى أبشع صوره.

من الصعب بل من المستحيل.. أن نستهين بحق النفس.. ونلقى بها فى تهلكة.. تجربة مريرة مرة ثانية..

الحب القديم .. بكل ما يحمل من رواسب ألم .. وذكريات وعذاب.. أجدر لنا أن نبقيه مدفونا.. لأنه لو كان يستحق الحياة لما أصبح مدفوناً فى الأعماق.

وصمت وأنـا أفكر.. وسمعت صـوتـاً هاتفـاً من أعماقى يقول:

ـ بالنسبة لى أنا.. يكفينى لو قدر لى صدفة.. أن أرى عيون حبيبى تعبة حائرة.. لاحتويـت رأسه بين ضلوعى.. وغفرت له كل ذنوبه.

وصرخت ثـائرة على نفسى.. كيف فكـرت فى يـوم من الأيام.. أن أكون على حبيبى غاضبة.

● زهـــرة ●

ليت العمـر يتـوقف .. فى استراحـة بين ذراعيك .. ونظـرة من عينيك!

فن التطبيل

التطبيل فن من الفنون .. عجزت عن معـرفة أصوله! وبما أنى إنسانة يستهويها كل أمر جـديد.. ويغريها كل أمر عليها صعيب، لـذا طلبت من طبـال مـاهـر جـدا .. أن يعلمنى فن التطبيل على الطبلة

فقـال لى: أبشرى فى خلال شهـر زمـان ستكونين سيـدة الطبلة بين الجالسين.

لكن رحم الله امـرءاً عرف قدر مواهبه، وبما إنـى إنسانة أعرف مواهبى بالتمام والكمال، فقد صرفت النظر عن الفكرة لأنى أدرك حق الإدراك أن التطبيل يحتـاج إلى حس فنى .. وأذن موسيقية.. تلتقط الإيقـاع الموسيقى.. وهذا آخر شىء أمتلكه، فأنـا قـد أنسجم مـرة أو اثنتين.. فى جلسـة طـرب وتطريب.. ولكنى أفضل عنها ألف مـرة .. جلسة حديث فكر مع أديبـة أو أديب.. وقـد يجذبنى فى بعض الأحيـان.. الطبل والطار.. ولكن الكتاب يجذبنى.. فى كل الأحيان.

وفن التطبيل على الطبلة أمره يهون.. أمام فن التطبيل على الآذان، وهذا الفن ولله الحمد .. لم يخطر لى يومـا على بال .. فأنا امرأة ما فى قلبـى على لسانى.. ومحال أن أشترى صداقة مخلـوق.. مهما عظم شأنـه.. عن طـريـق فن التطبيل على الآذان.. وبالأحرى عن طريق النفاق!

فن التطبيل على الآذان .. فن درج كثيرا هذه الأيـام.. وهو

آخر صيحة .. فى فنـون هذا الزمان، طبعا لصعـوبته لايجيده سوى أقلية، رغم أنى للأسف ألاحظ تزايد الإقبال عليه!

هـذا الفن.. يحتـاج لسرعة البـديهة.. فى الكـذب والخداع، وحفظ قاموس من التمجيد.. والتعظيم والمديح، كذلك يحتاج أهم شىء.. إلى ذمة واسعة جدا، ذمة «استيك» .. تستطيع أن تحول الحق الى بـاطل ، والباطل إلى حق، وتحول الأسـود إلى أبيض .. والأبيض إلى أسود!

منذ فترة لا أستطيع تحديدها.. قرأت على صفحات جريدة «الشرق الأوسط» مقـــالا للكـــاتـب الكبير مصطفى أمين.. أعجبنى جدا .. تناول فيه موضوع النفاق والتطبيل .. فقال ما معناه: إن أصحاب المراكز هم أناس .. يحيط بهم فئة المنافقين .. فهؤلاء المرتـزقة ينقلـون لهم الصورة والـوقائع.. حسب مصالحهم الخاصة، فهم مرآة كاذبة للحقائق.. وهم يمطرون أصحـاب المراكز بـالمديح والإطراء .. إلى حـد تضليلهم .. فى اتخاذ القـرارات الصائبـة فى أعمالهم، وينهى الكـاتب الكبير المقال .. نهاية مؤلمة .. ولكنها الواقع المرير الذى أرجو الله مع الوعى بالمسئولية .. أن يتغير، فيقول ما معناه : لو قدر لهولاء المسئولين .. أن تحيطهم فئة.. لاتقول سوى الصدق والحق .. ولاتشـور عليهم إلا بما يـرضى ضمائرهم ، لاستبـدلـوهم بالفئة الأولى.

قارئى العزيز :

اليوم أنا لن أوجه حديثى .. لا للمنافقين ولا للمنافقات ..

لأن هؤلاء فى نظرى مرضى.. نفـوسهم الذليلة الضعيفة.. غير قـابلـة للعـلاج.. حتى ولـو على أيدى أمهـر الأطبـاء. اليـوم سأوجه حـديثى إلى المنافق له.. فهو وحـده من يمتلك القدرة والسلطة.. على إبادة هذا الوباء الفتاك «النفاق».. وقمع وردع كل متملق منافق كذاب، المنافق لـه هو من قدر لـه أن يكون صاحب مـركز وسلطة.. ولذا يكثـر حوله أصحـاب المصالح الخاصة.. وطبعا الوسيلة الـوحيدة.. التى يسلكونها للتقرب من هـذا المسئـول.. هى النفاق والتملق والكـلام المعسـول.. بـالمدح والإطراء الـذى يوسع الخاطـر بلا شك، لكنـه يخفى الوقائع ويعمى البصائر، ويدخل إلى النفس الغرور والزهو.. ممـا يؤدى إلى اتخاذ القـرارات الضـارة، بالعمل والمصـالح العامة. فالمنافق يصيـب المنافق له بداء «الطماش» .. أى عدم وضوح الـرؤية .. فأى قرار صائب نتـوقع من مسئول .. أو رب عمل محاط ببطـانـة سيئـة.. لا تهدف إلا لـلاستفـادة الخاصة.. ولا تنقل له إلا ما يعود عليها بالمنفعة؟!

فى عالمنـا نحن عالم النساء.. أحمد اللـه أن هذا المرض غير متفش بصـورة واسعـة.. ومضـاره محدودة لأن المصـالح محدودة، ولا أنكر أنه يوجـد بعضهن .. لا يتعرفن على فلانة إلا لأنها بنت فـلان.. أو لأنها حـرم فـلان! وتكون المعـرفـة للتبـاهى وللمفاخـرة، لكن فى عالمنـا النسائى.. النفـاق ليس قضية مهمة.. فمضاره وأثره السيىء يقع على المنافقة.. لأنها تكون محط سخـرية الجميع، والمنـافقة لها كـذلك .. إذا هى تجاوبت ودخلهـا الغـرور.. ولا تـرحم من النقـد الـلاذع ..

ويبتعد عن رفقتها اللـواتى يحترمن أنفسهن.. ومحال أن تنطق ألسنتهن بكلمة تملق أو نفاق واحدة!

وسامحونى ياسادة وياسيدات.. إن أنا فى مقالى هذا أجرح شعور البعض.. وأتمنى أن أقطع رزق البعض، فالله أعلم ما وراء القصد.. فلا يوجد فى هذا الصدر سوى حب الوطن.. والغيرة على كل مصالحه.. هى التى تدفع هذا القلم أن يقول بكل جرأة .. ما يجب أن يقال: النفاق سبب الشقاق!

● زهـــــــرة ●

وحينما حددتك ياسلامى .. غاية لحياتى، أدركت .. أنى إنما حددت العذاب المحتوم.. والصبر الأزلى غاية لى!

أعفيتك من حبي

وأدميت قلبى.. عجبى ! كأنك فى يـوم.. لم تستجـد نظـرة حب من عينى!

وقسوت على .. عجبى ! كأنك فى يوم .. لم تبك عند قدمى! وهـزأت من أيـامى.. بعـد أن علمتنى أصعب درس فى الحب معك، وسخـرت من زمانـى.. بعد أن أيقظتنى.. من أضغـاث أحلامى فى هواك.. هزأت من ذكـرياتى حينما بدأنا .. أعطيتك من الحب جـدولا .. فأعطيتنـى منـه نهراً.. وهـا أنت الآن .. تعطينى من الحب قطرة، وأنا أعطيك منه بحراً، كل موجة فيه تـذكر اسمك.. وتـرسم رسمك.. سخـرت من ضعفى حينما بدأنـا .. قلت لك عن الشوق بيت شعـر.. فقلت لى عن الشوق قصيـدة.. ومرت الأيـام. وهـا أنت الآن تقول لى عن الشـوق كلمة.. وأنا أقول لك عنه «معلّقة».. كل قوافيها تنهيدة تتبعها تنهيدة.

وضحكت بـاكيـة.. إن مـا أعانيـه هـو هـوس حب، إننى مهووسـة حب، وعلى أن أبحث بين العقاقير جميعهـا .. علنى أجد ما يشفينى، ما يـريحنى، ما يخلصنى من هذا الهوس .. لأنى إمـا أن أخلص منـه أو (يخلص) هو على!.. وقـررت أن أطلق كل مـا فى داخلي.. مـن هـذا الهوس والشـوق والعبرات أطلقت ما فى داخلى كطلقات رصاص، صمت سمعى وأفرغت قلبى أفرغت كل مـا فى داخلى .. حتى أصبحت جوفاء.. والمرء

الأجـوف آلة صماء خـرساء عميـاء أصبحت روحى هائمــة تسبح فى الفضاء وتــراكمت فى عيونى صور قســوة الحياة .. وتحجرت فوق شفتى بـراكين ألم العذاب.. وقررت أن أقول لك وداعاً .. وداعاً .. وأعفى نفسى من حبك.. وعدت إلى قطار حياتى أقـوده بجنون العـزيمة بعد الهزيمــة.. وأقوده مثلما تعودت دائما حيث أشاء..

لن أضعف .. لأنــه لا يحق لمن لها قـــوتى وشخصيتى وعـزيمتى .. أن تضعف تحت اسـم الحب.. لن أنهار لأنــه لا يحق لمن لها صــلابتى وكبريائى وطمـوحى أن تنهـار تحت اسم الحب..

أنا ما تعودت الضعف أو الانهيار، تعودت منذ طفولتى أن أحفـر صخورى بأظـافري، أشق دربي، أفتح طـريقى حتى وأنا أحمل فــوق ظهرى .. هموم الدنيا كلهــا.. هموم فى ثقلها كالجبال.

● زهـــــــرة ●

بعثت لك استقــالتى .. من عــالم هواك.. قبل أن تبعث لى بأمـر الإعفاء .. وتقاعدت عن حبك .. قبل أن تحيل حبى إلى المعاش..

آه یا سلام

حينما أقرأ لك ما أكتب.. حينما أعرض أمـامك .. نزيف ما فى صـدرى .. على الـورق .. وأسمع نبرة صـوتك الحنـون .. توقفنى بين حين وآخر .. بآه أو يا سلام .. يقفز قلبى من بين ضلوعى .. وتـرتعش أطراف .. وأنـا أتذكر هـذه الآه .. وهذا السلام ..

وحينما تسمع أو تقرأ ما أعانى فى هواك.. تتأثر وتنفعل!

ترى مـا حالك لـو عايشت حـالى دقيقة .. دقيقـة؟ .. وما حالـك لو نظرت إلى هـذا الصدر .. ومـا قدر عليـه من ضيق وشوق .. ولوعة إليك ..

أما مـا أقرأه لك .. ما أكتبـه لك .. يصغر شعـورى نحوك فقلمى أضعف بكثير من أن يصف لك .. مـا أنت بـالنسبـة لى أنا.. أخبرني.. من يستطيع أن يصف قطرة الندي؟

ومن يستطيع وصف شكل نسمة الهواء؟

لا أحـد يستطيع إذن .. لا أحد يستطيع كـذلك.. أن يصف حبى أنا..

أخبرنى .. من يستطيع أن يحصر عدد موجات البحر؟

ومن يستطيع.. أن يحصر عدد النجوم فى الهواء..؟

لا أحـد يستطيع إذن.. لا أحد يستطيع كـذلك.. أن يحصر عدد آهات قلبى أنا!

ممنوع الدخول.. ممنوع الإزعاج

حاولت أن ألوذ بالصمت.. ولكن صمتى معك كان حديثا!

حاولت أن أهرب إلى الاختفاء.. ولكن اختفائى منك.. كان ظهورا..

تعثرت خطواتى.. وأنا أحاول أن أبعد عنك.. فشلت.. وانهار صمودى ضد قوة جذبك.. كأنما قوى الجاذبية كلها.. انحصرت فى نقطة واحدة هى: أنت..

فاستسلمت.. وتقابلنا.. وجلست أمامك.. وبادرتنى بالسؤال:

- من أنت؟ وأين موقعك فى هذا الوجود؟

فاحترت! كيف أشرح لك عن ذاتى.. إن كنت أنا.. لم أتعرف بعد على هذه الذات؟!

وموقعى.. فى هذا الوجود.. كيف أحدده لك.. وهو بالنسبة لى مفقود.. هل يعقل أن أحدد المفقود؟!

وتلعثمت .. وتحجرت الكلمات فى فمى.. وما أصعب أن نسأل ولا نجيب.. ونحن نعرف الإجابة.. ما أصعب أن نمتحن ونفشل.. والنجاح لنا مضمون..

وقررت .. أن أكسر حاجز الخوف.. وأحطم قيود السيطرة.. ونطقت وقلت لك:

ياسائلى.. أنا لست سوى غيمة شاردة بأمطارها..تبحث

عن السهول والحقول..

أنا لست سوى شجرة أرز.. شامخة.. صابرة.. على غدر السنين.

أما موقعي ياسيدى.. فأنا أقف عاجزة.. فوق رمال متحركة.. إلى أن تبتلعني.. وتخفيني.. أو تنقذني منها معجزة.. ورحمة من رب العالمين.

يومها مددت لى يداً حنوناً.. ومسحت أدمعى، توقفت معك.. أتعلم منك أولى الخطوات. فى درب الأحلام.

وهكذا هطلت أمطار غيومى.. وصدحت فرحا أنغام عودى.. اخضرت.. امتدت شجرتى.. فعانقت أغصانها قمر سمائى.. ياشروق مغيبى.. ياصحوة غيبوبتى.. بك ومعك أبدأ ترحالى.

أنت دليلى.. وأنت رفيقى.. ما عاد فى العمر متسع للهروب.. ما عاد فى القلب مكان.. لمزيد من الجروح.. الآن.. وأنا أقف على أعتاب قلبك.. أستأذنك بالدخول.. أقول لك: أرجوك.. بعد أن أدخل إلى قلبك.. إلى عالمى الجديد.. أرجوك أن توصد أبواب قلبك.. وتضع لائحة.. «ممنوع الدخول.. ممنوع الإزعاج»!

رسالة على جناح الريح

إنها امرأة.. خلقت من ضلعه.. إنها امرأة.. استشهدت فى حبه.. معه العمر بدأت تعد أيامه.. عدا تنازليا.. فكلما مرت أيامها معه.. زادت إشراقا وتألقا، وكلما زادت تعلقاً به.. زادت تكبرا وتعففا.

معه.. ماعاد شيء يغريها ولا يجذبها.. يكفيها قربه.. معه.. ماعاد شيء يستهويها ولا يشغلها .. يكفيها نعيمه .. أتاها حبه .. فى زمن أفولها ليعيد لها وجودها .. أتاها حبه .. بعد أن ختنت القلب .. وأعلنت اعتزالها .. ونكست أعلامها .. ووقف العقل سجانا عنيدا .. يحرس منافذ مشاعرها .. ويمنع كل طارق غريب.

أتى حبه فكسر الأقفال .. حطم القيود .. وايقظها من غفوة ركود عواطفها قائلا: «استيقظى، استيقظى .. إنك تعيشين مرة واحدة ، لن تعيشى مرتين، لن تعيشى مرتين».

وأشرق فى فجرها مولد جديد، ولاحت فى أفقها .. بشائر عوالم أحلام مشرقة الرؤى، شربت من شهد نبرة حنان صوته .. فارتوت أغصان عمرها الجافة، وتفتحت أزهار آمالها الذابلة .. من دفء عمق عينيه.

بعد دهر أتاها غيث الهوى .. ليروى فى أيامها عطش السنين، بعد زمن أتاها غيم الحنان .. ليظلل فكرها بوهج الحنين .. وتحول .. تحول فيها .. مارد الرفض والعصيان ..

على الهوى .. إلى طفل غـريـر! واصطفت جيوش ثـورة الـلا حب.. تـرفع بيـارق أجمل هـزيمـة .. وتعلن على الملأ .. أن فتوحات حبه ونصره عليها .. ماهى إلا انتصار لها .. وعودة إلى الحياة.

سلمت سالما يا هذا الحب .. يا سلمها وسلامها .. ونصرها حتى فى انهزامهـا! وهكـذا تسلطن الحب فيهـا .. وارتسم قصص أفراح فى عينيها، وتدفق يـزغرد حكايات شوق .. من بين شفتيها، فـأمسكت الزمن بيسراهـا .. وأوقفته خـاضعا أمـام أمانيهـا، وأمسكت بيمنـاهـا قلمها .. وخطـت رسالـة مستعجلة جدا، رسالة على جناح الريح.

حبيبى :

أكتب لعينيك خطابا طويلا، أبعث لعينيك سلاما جميلا، لم أر قبل عينيك عيـونا يـاحبيبى تتكلم .. وتنـاقش تقبل الحب وترفضـه، تعلنه وتـدفنه، عـاشقة أنـا لتلك العينين .. عيناك وحـدهما تفقـدانى تـوازنى، تسحقان غـرورى، تنـاغيـان أنوثتـى، أجتر جوفى .. وأنا فى حضرة تلك العينين، ويـرتعش أملى .. أن تكفا عن عودتى للإبحار .. فى شواطئهما الحالمة!

حينئـذ لن أكتب يـاحبيبى .. إن حـرمت مـن رؤيـة تلك العينين؟!

حبيبى :

ابعث لحنانك مـرسولا مستعجـلا، أبعث لحنانك شـوقا ملهوفا، لم أشعر قبل حنانك .. بحنان ياحبيبى يؤلم ويشفى، يسعـد ويشقى، يحيى ويفنى.. مشتـاقـه أنا لـذاك الحنـان،

وحده حنانك يريح شقائى، يعيـد أمانى، يبدد خوف، أرتعش خوفـا وأنا محاصرة، بتوقد يقين الحرمـان .. من الترحال فى ظله الهادىء.

حينئـذ كيف أحيـا يـاحبيبى، إن حـرمت من حنـان ذاك الحنان؟!

وبين هـواجس النعيم والحرمان، أرى الـدنيا من خـلال عينيك، وأقبل على الحياة من خلال حنانك لى.. ودمت لى سالماً دائماً وأبداً.

● زهـــــرة ●

أعطنى نظرة حب، ولمسة حنان،

لأعطيك ما تبقى من أيام العمر..!

يا زماني

وعلمتنى المحن .. أن أصعب أنـواع البكاء .. هـو الضحك أثناء المحنة.

وعلمتنى الشـدائد .. أن أصعب أنـــواع الـوقـوف .. هـو الشموخ أثناء الشدة.

وعلمتنى آلامى .. ومعاناتـى ودموعى .. أن نزف الجرح آلامه .. أكثـر بكثير من بتره، وانتظـار الموت مفجع .. أكثـر بكثير من وقوعه.

لعمرى كم تغير مـوازيننا المحن والشدائد، يومـاً تصقلنا وأياماً كثيرة تصهرنا، ويوماً تبنينا وأياماً كثيرة تهدمنا.

لهفى عليك يـا هـذا القلب .. كم يفنيك تعكـر مجرى دمك، حسرتى عليك يا هذا الفكر .. كم تؤلمك وعورة درب أفكارك!

أراك يانفسى الحزينة ثائرة يوما، وأياماً كثيرة مستسلمة لأقـدارك، أسلبية معـاملـة هذه .. أم هـى قمة الإيجابيـة مع أوضـاعك؟ أضعف مواجهـة هذه .. أم هى ذروة القـوة .. فى التعامل مع أحزانك وحرمانك؟ تتمنين يانفسى البائسة .. أن تسعـدى ولو مـرة واحـدة، وأن يحقق لك حلم واحد .. ولـو صـدفة، فإذا بك كلما وصلـت إلى ما تصبين إليـه، يكتب على جبينك .. ما لا تتـوقعين وما لا تحسبين لـه حسابـا! فتنهار أفراحك،وتتـزلزل آمالك، وتعـودين .. وتعودين .. من حيث

بدأت.. فى رحلة العذاب .. تبكين حب أعز الأحباب، ومسكينة .. مسكينة أنت يانفسى الحزينة!

يازمانى .. يازمانى عادنى كيفما شئت .. ماعدت أتمنى شيئا، ماعدت أصبو إلى شىء، أجهضت أحلامى، عقرت آمالى، أجدبت مطامحى، عفت أيامى، حتى لو أتانى الفرح منك يازمانى، لن أخطو فيه، لن تخدعنى أبدا أفراحى، فأنا أعرف أفراحى، أفراحى ملغمة بجميع أنواع الأحزان.

يازمانى .. لا لن تهزمنى أبداً يازمانى، سأظل واقفة، شامخة، هازئة منك يازمانى .. تملأ عيونى نظرة تحد .. وتعلو شفتى كلمة كبرياء وتعال.

يازمانى .. ماعدت أتلهف عليك متأملة .. ماعدت أشكو منك متألمة، حسبى أنى عرفت ما تخبىء لى .. فتجبر واقس وتجن، ماهمنى .. ماهمنى أنك يازمن .. بكل جبروتك .. بكل طغيانك، تتعامل مع آلة مسلوبة الإرادة والإحساس، برمجت ذاتى على استيعاب نوائبك .. وتخزين كل ما هو منك آت.

وأدركت .. أن أمسى أفضل من يومى، ويومى أفضل من غدى، ياضياع عمر .. قدر له أن تحكمه يا زمانى!

● زهـــــرة ●

لو الحروف لها أعين .. لرأى قارىء كلماتى .. الدمع يسيل من أحرفى.

لو الجمل لها صوت .. لسمع قارىء أسطرى .. الآهات من بين صفحاتى.

يازمانى .. اتخذت الحزن مهنتى، وجعلت الصبر ابنى، وبنيت من الصمت مسكنى.

وواريت أحلامى فى الثرى، وكتمت آمالى وقلت: ياربى .. ما قسمت لى، ارتضيت به .. وكفى!!

هزيمتي فيك انتصار